حكايات خصلة الشعر

رحم الله المحلقين

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه

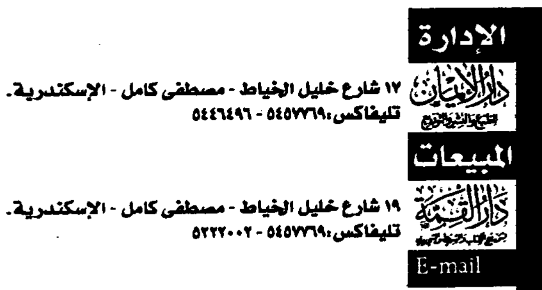






اسم الكتاب : حكايات خصلة الشعر
إعداد الأستاذ : عبد المنعم الهاشمي
رقم الإيداع : ١٥٢٨٢ / ٢٠١٤
نوع الطباعة : لون واحد
عدد الصفحات :١٦٠
القياس : ١٧×٢٤
تجهيزات فنية : مكتب دار الإيمان
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. يسري حسن

٢٠١٦



dar_aleman@hotmail.com

رَحِمَ اللهُ المُحلقين

قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[الفتح: ٢٧].

ثبت الحلق والتقصير بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، كما في الآية ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وروى البُخاري ومسلم، أن النَّبيّ ﷺ قال: « رَحِمَ اللهُ المحلِّقين»، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟، قال: « رَحِمَ اللهُ المحلِّقين »، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله ؟ ، «رَحِمَ اللهُ المحلِّقين» ،قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟، قال:« والمقصِّرين»(١).

---

(١) البخاري (١٧٢٧) ، ومسلم (١٣٠١) .



ولو سألنا عن سبب تكرار دعاء النَّبِي ﷺ للمُحلِّقين هو الحث على الحلق ، والتأكيد عليه ، لأنه أبلغ في العبادة ، وأدل على صدق نيته في التذلل لله ، لأن من يُقصر ولا يحلق يبقي على الزينة، ورغم ذلك فقد جعل رسولُ الله للمقصرين نصيباً لئلا يخيب أحد من أُمَّته من صالح دعوته وسماحة الإسلام .

وقت الحلق أو التقصير للحاج يكون بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر « يوم العيد » أول أيام العيد، فإذا كان معه هدي « أضحية » حَلَقَ بعد ذبح الأضحية، فرسُول اللهِ ﷺ لما نحر « ذبح » أضحيته بمنى ، قال : « أمرني أن أحلقه » (١) .

---

(١) من حديث معمر بن عبد الله الذي رواه أحمد (٦ / ٤٠٠) ، والطبراني في الكبير (٢٠/٤٤٧) رقم(١٠٩٦) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٣/٢٦١) .

أمَّا وقت حلق الشعر أو تقصيره في العمرة بعد أن يفرغ من السعي بين الصفا والمروة ، ولمن معه هدي بعد ذبحه،ويجب أن يكون في الحرم،وفي أيام النحر»[1] .

بعد كل هذا الحديث عن خصلات الشعر، نتحدث عن المستحب في طريقة الحلق ، نذكر أن الحق يبدأ من الشق الأيمن ، يتخذ القبلة ثم الشق الأيسر ، ويكبِّر الحالق ، ثم يصلي ركعتين .

أما عن حلق النساء ، فقد نُهيت المرأة عن الحلق ، فقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ :«ليس على النساء حلق ، وإنما على النساء التقصير »[2] .

وقد أجمع أهل العلم على أن المرأة تحلق بل

(١) انظر : فقه السُّنَّة ص ٤٨٤ .

(٢) حسَّنه الحافظ ، أبو داود (٩٨٤) الدارقطني (١ / ٢٧١) .

تقصر ،كما جاء في حديث رسول الله ﷺ السابق .

فالمرأة إذا أرادت أن تقصر ، جمعت شعرها إلى مقدم رأسها ، ثم أخذت منه أنملة ، وقيل : إذا قصرت المرأة شعرها ، تأخذ أطرافه من طويله وقصيره ، وقيل لا حدَّ لما تأخذه المرأة من شعرها ، وأقل ما يجزئ ثلاث شعرات .

حج النبي ﷺ :

وإذا كنا نتحدث عن الحلق والتقصير في الحج والعمرة فلابد أن نتحدث عن حجة النبي ﷺ المشهورة - والتي يُطلق عليها اسم « حجة الوداع » - لأنه ودع المسلمين فيها .

فبعد أن أتم الله لرسوله ﷺ دعوته ورسالته

فبلغ ﷺ الرِّسالة ، ويبدو أن الرسول ﷺ قد شعر بدنو أجله وبقرب وفاته ، حتى أنه قال لصاحبه معاذ بن جبل وهو يرسله إلى ملوك اليمن : « يا مُعاذ أنك عسى أن لا تلقاني بعد » .

فبكى معاذ لفراق رسول الله ﷺ ، وقد أعلن النبي ﷺ القيام.بهذه الحجة المشهورة « بحجة الوداع » وجاء من الناس الكثير الذين يحبون أن يؤمهم النَّبِيّ ﷺ .

استعد رسول الله ﷺ فلبس إزاره وطيَّب جسدَهَ الكريمُ ، وانطلق حتى وصل إلى مكان يُقال له ذي الحليفة فصلى العصر ركعتين وبات حتى الصبح ، فلما أصبح قال لأصحابه : أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك

وقل : عمرةٌ في حجة [1] .

وقبل أن يصلي الظهر اغتسل كي يحرم وطيَّبَتْهُ السيدة عائشة ثم لبس إزاره ورداءَهُ وصلَّىٰ الظهر ركعتين ثمَّ أَهلَّ بالحجِ والعمرةِ في مصلاه ثم خرج فركب ناقته القصواء ، ثم أهلَّ أيضًا .

واصل النَّبِي ﷺ مسيرهُ حتى قرب مكة ، فبات بذي طوى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر، فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت وسعى ببين الصفا والمروة،ولم يتحلل من إحرامه، بل نزل بأعلى مكة وبالحجون وأقام هناك ولم يعد للطواف غير طواف الحج.

وقال لأصحابه من لم يكن معه هدي

(١) فتح الباري (٨/ ١٠٤) .

« أضحية » وأطاع ، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية ، توجه ﷺ إلى مِنَىٰ ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، خمس صلوات ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فخرج حتى أتى عرفة فوضعت له خيمة في نَمِرَة وهي مسجد الآن في عرفات اسمه نمرة فنزل بها حتىٰ إذا غابت الشمس أمر بناقته القصواء، فأُعدت له فأتى بطن الوادي ، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفًا من الناس ، فقام فيهم خطيبًا ، وألقىٰ خطبة هائلة تقرن باسم خطبة الوداع، قال فيها ﷺ يردّدُ ويردّدُ خلفه رجل « وهو ربيعة بن أمية بن خلف » [١] بصوت عال حتى سمعه الناس جميعًا .

---

(١) انظر : حجة الوداع في سيرة ابن هشام .

« أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً »[1] .

إن دماءكم وأموالكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا ، في شهركهم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كلُّ شيء في أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع الجاهلية موضوعه ، وإن أول دم أضع من دمائنا دمَّ ربيعة بن الحارث « وهذا الرجل كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته قبيلة هُذيل » .

وقال ﷺ عن الربا : وربا الجاهلية موضوعٌ ، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

ثم تحدث ﷺ عن النِّساء فقال : فاتقوا الله في

(١) المصدر السابق .

النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرحٍ ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقال ﷺ عن القرآن العظيم :وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصم به، كتاب الله » [١] .

وحدثهم عن أركان الإسلام فقال : أيها الناس، أنه لا نبي بعدي ، ولا أُمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم وأدّوا زكاة أموالكم طيبةً بها أنفسكم وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا ولاة أمركم ، تدخلوا الجنة » .

وأنتم تُسألون عنِّي ، فما أنتم قائلون؟، قالوا :

(١) صحيح مسلم ، باب حجة الوداع (١/٣٩٧) .

نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعيه السبابة يرفعها إلى السماء وينكثها إلى الناس : اللهم اشهد ثلاثة مرات » [1] .

وبعد أن فرغ النبيّ ﷺ إلقاء الخطبة نزل عليه ﷺ قوله الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ﴾ .

[المائدة : ٣] .

وقال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان » [2] .

وبعد إلقاء الخطبة أَذَّن بلال ثم أقام فصلىٰ رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئًا ، ثم ركب حتى أتىٰ الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى

(١) صحيح مسلم (١/٢٩٧) .
(٢) رواه البخاري عن ابن عمر .

الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص ، وجعل أسامة بن زيد يركب خلفه ، ثم مضى حتىٰ أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بآذان واحد ، وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئًا ثم اضطجع ﷺ حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبين له الصحيح بأذان وإقامة ، وكان ذلك فجر يوم عيد الأضحىٰ ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا ربَّه وكبَّره وهلل ووحد الله فلم يزل واقفًا .

وخرج من المزدلفة إلىٰ مِنى قبل أن تطلع الشمس، وجاءَ الجمرة الكبرى عند الشجرة وهي جمرة العقبة الأولى فرماها بسبع حصيات يكبِّر

مع كل حصاةٍ ثم انصرف إلى المنحر ، فنحر ثلاثًا وستين بيده ، ثم أعطىٰ عليًّا فنحر الباقي وهي سبع وثلاثون بدنه ، تمام المائة ، ثم أخذ من كل ذبيحة قطعة من اللحم فجعلت في قدر ، فطبخت فأكلا من لحمها ، وشرب من مرقِهَا .

ثم ركب ﷺ فأفاض « طاف طواف الإفاضة وسعيها » ثم مرَّ على زمزم فوجد بن عبد المطلب يسقون وكان لهم السقاية ، فناولوه دلواً فشرب من ماء زمزم » [1] .

وخطب النَّبِيّ ﷺ يوم النحر فقال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا .

---

(١) انظر : صحيح مسلم باب حجة النَّبي ﷺ (١/٣٩٧) .

(١) قول ابن عباس، وانظر «سيرة ابن هشام» (ج٢، ص١٩)، و«زاد المعاد»

وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ، قالوا : نعم ، اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرُبَّ مُبلغ أوعى من سامع [1] .

وأقام ﷺ أيام التشريق بمِنَىٰ يؤدي المناسك ويعلم الناس ، ويذكر الله ، ويمحو آثار الشرك وكل ما يذكر به .

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ، نفر النَّبيّ ﷺ من مِنَىٰ فنزل بخيف بني كنانة من الابطح وأقام هناك بقية يومه ذلك ، وليلته ، وصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ونام قليلاً ، ثم ركب إلى البيت فطاف به طواف

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة .

(٢/ ٧١، ١١٠)، وصحيح البخاري (٢/ ٥٧٤-٥٧٥)

الوداع مع صحابته - رضي الله عنهم -، و لما أنهى مناسك حجه ركب عائداً إلى المدينة المنورة ليواصل دعوته في سبيل الله [1].

صلى الله عليه وسلام فهو القائل: رحم الله المحلِّقين.

---

(١) حجة الوداع في زاد المعاد (١/١٩٦-٢١٨ - ٢٤٠) وسيرة ابن هشام جـ٢، من ص ٦٠٢ إلى ص ٦٠٥ .

حكايات خصلة الشعر

رحمة والضفائر

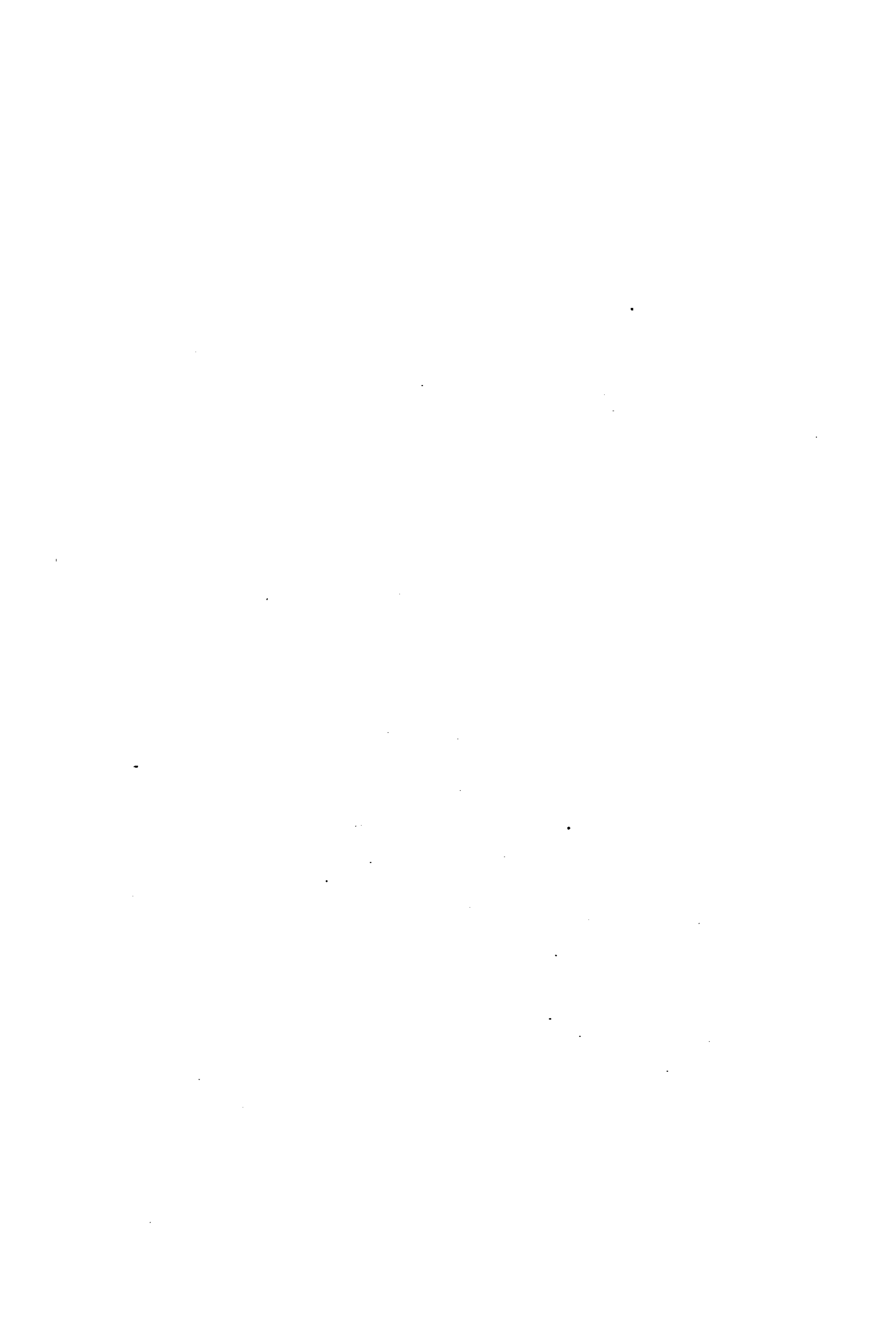
تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه







رحمة والضفائر

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٤).

لقد شبَّ الصغار دائمًا على معرفة أن كلمة أيوب اسم لرجل يضرب المثل بصبره، الذي جاوز كل حدود الصبر، وبإيمانه الذي بلغ أعلى مراتب الإيمان.

وتجدنا ونحن في ضيق من شيء ننادي هذا الخلق العظيم، فنقول: «يا صبر أيوب!!».

أننا نستدعي صبر هذا النبي العظيم وزوجته التي شاركته المحنة، وهي (رحمة)، كما جاء اسمها في المراجع، إذن ما هي قصة رحمة وضفائرها مع أيوب؟،

ذلك ما سنعرفه حالاً .

ولد لإسحاق بن إبراهيم عليه السلام ولدان، هما: يعقوب (إسرائيل)، وعيصو.

أما يعقوب .. فقد استوطن بأولاده برية فلسطين.

أما عيصو .. فقد اتجه هو وأولاده إلى شمال الشام حيث استوطن ساحل البحر، وهنا تناسلت ذريته وتكاثرت، ومن ذرية عيصو، أتى رجل تقيٌّ، حليمٌ، صبورٌ، صادقٌ، اسمه أيوب.

ومن ذرية يوسف بن يعقوب تزوج أيوب فتاة جميلة اسمها رحمة، كانت مثالاً للتقوى والصلاح، فقد جارت زوجها في عبادته لله ، وفي حمده وشكره له، وفي تقربه إليه.

كان أيوب رجلاً غنيًا ذا مال كثير، بسط الله له في الرزق، وأفسح له طريق الثراء، كانت مزارعة ترتع بالأبقار والشياة الحلوب، وتثيخ بمرابضه الإبل الخفاف، والنياق

الولود، وتسرح بأراضيه الخيل والبغال والحمير.

ورزق الله أيوب فوق ما رزقه من نعمة المال، نعمة أخرى جزيلة محبوبة، تلك نعمة الأولاد من البنين والبنات، فقد أكمل له بذلك ما يتمناه كل امرئٍ لنفسه من مُتع الدنيا ورفاهية الحياة، ولذاذة العيش، ونضرة النعيم، فهل كان أيوب بما أعطاه الله من نعم الحياة، وبهجة الدنيا منعماً مرفهاً؟!!.

لم يكن أيوب كذلك، كانت أمواله لمن حوله قبل أن تكون لنفسه، كان براً بكل من حوله، يرعى غلمانه وخدمه من قبل أن يرعى أهله.

أحبَّ الناسُ أيوبَ لخُلُقه وكرمه، وإيمانه بالله، وكان أيوب محصناً بإيمانه ضد وسوسة الشيطان، فما استطاع إبليس أن يغريه بشيء مما يغري به الأغنياء، واستغل إبليس كل حيلة يستطيع أن يحتالها، ولكن بلا جدوى، لأن إيمان أيوب قوى وثابت.

ابتلى الله عبده أيوب، فبدأ بماله، فأصاب الجفاف مزارعه، وأصابت ثماره الآفات، فذبل زرعه، وتساقط ثمره، وأصبحت أراضيه عفراء قحلاً، فجاعت دوابه، وذاب شحمها، وهزل لحمها، وبرز عظمها، وجفَّ ضرعها، ثم هلكت جميعًا، ثم سرعان ما ذهبت البقية الباقية من أموال أيوب، وبقي أيوب ولا مال له ..!

وفرح إبليس في ابتلاء هذا العبد الصالح والنبي القانع فرحًا شديداً، أما أيوب، فقال: «إن الذي خلقني وأعطاني المال هو ربي، فإن شاء أعطى، وإن شاء أخذ، لا ينبغي لي أن أفرح حين يعطيني المال، ولا أن أجزع حين يقبضه عني، بل يجب أن أشكر الله الذي خلقني على أي حال صيَّرني إليها غنيًا كنتُ أو فقيراً ! .

ومضى زمن على ذهاب مال أيوب، وأيوب كما كان من قبل، نفس راضية، وادعة، مطمئنة، لا تكف عن طلب الغفران لها ولغيرها من البشر، دائمة الشكر لله .. والحمد لله .

ثمَّ... ثمَّ كان أن ابتلى الله أيوب بمحبته أشد وأنكى..!.

فبينما أيوب وزوجه قد خرجا إلى إحدى ضواحي المدينة في أمر لهما، أتى أيوب النذير ينعي إليه أولاده جميعًا.. أتاه نفر من الرجال يصيحون به مولولين قائلين: يا للهول! يا للفجيعة! ما أعظم ما أصابك يا أيوب! وما أشد ما نزل بك وابتُليتَ به.. لقد انقضت جُدران دارك فسقط بناؤها على أولادك، فماتوا جميعًا!!.

واستمع أيوب إلى هؤلاء النعاة ينعون أولاده إليه، ويصف له كل منهم كيف كان موتهم، وكيف كان مصرعهم، فنكس أيوب رأسه، وتساقطت الدموع تباعًا من عينيه تبلل لحيته.

حينئذٍ فرح إبليس الذي كان يرقب المشهد عن كثب، وقهقه ضاحكًا، وأسرع إلى النعاة يوسوس في صدورهم: أن زيدوا أيوب قولاً، وزيدوه وصفًا، عسى أن يتزعزع

إيمانه، ويخرج عن صبره فنشطوا عليه وعلا صياحهم.

عندئذٍ رفع أيوب رأسه، ونظر إلى هؤلاء من خلال قطرات دموعه، وقال: لقد كان أولادي وديعة من الله عندي، فإن كان الله قد قبض أرواحهم فقد استرد وديعته، ورفعها إليه، وشملها برحمته، ثم نهض أيوب يصلي شكرًا لله، ويطلب منه الرحمة والغفران له ولأولاده.

يا إلهي .. لله درك يا أيوب ..! فما أشجعك! .. وما أصبرك! .. وانصرف إبليس وشياطينه مخذولين مدحورين.

أكان هذا البلاء آخر ما أصاب أيوب؟ .. أم أن هناك شيءٌ آخر مخبأ له من بين صفحات القدر؟! .. أجل لقد كان لا يزال مخبأ لأيوب بين صفحات القدر ما هو أشد وأنكى، فما مضى على ما حدث لأولاده إلا قليل حتى ابتلاه الله بمرض هدَّ قواه، وأنهك جسده، فقد انتشرت على جلده تدرُّنات حمراء ملتهبة، فزاد في حكها، فدميت وتقرحت، واتصل بعضها ببعض على شكل بثور

وخراريج وتقيحات رامتة، ما لبثت أن ملأت جلده، وانتشرت على سائر بشرته.

وذهبت رحمة زوجة أيوب تلتمس له الدواء عند أهله الذين آووهما بعد ضياع مال أيوب وخراب دياره، ولكن لم يفد أيوب دواءٌ، فذهبت من جديد تلتمس عند أصدقائه عقاراً لمرضه، ولكن لم يثمر مع أيوب عقار، وطالت الحال وأيوب يعاني ما يعاني .. لا يُسمع من صوته إلا الشكر لله ، ولا يُفهم من تمتمته إلا التسبيح بسم الله!.

وتوافد على أيوب بعض المعارف وبعض الأصدقاء، منهم من يصف لزوجته رحمة عقاراً لتجهزه له، ومنهم من يسمي لها دواءً، ومنهم من يأتي لها بدهان تدهنه به.

ولكن لم ينجح في جلد أيوب المتقرح أي عقار أو دواء أو دهان .. بل ازدادت الخراريج تقيحًا، وكثرت الثّآليل انتشاراً، وكانت تتفجر هذه وتلك عن أخبث مادة، وأكره رائحة.

ومرت الأيام، وتتابعت الشهور، وأيوب تزداد حالته سوءًا، حتى لم يستطع قيامًا ولا قعودًا، ولم يعد يستطيع أحد أن يقترب منه لِعَفَنِ قروحه ، ونتن رائحتها، فبرم الناس به، ونفروا منه، وانقطعوا عن زيارته، وتذمَّر أهله من جيرته ، وظلت زوجته هي الوحيدة التي تخدمه، وتقضي له حاجاته.

ومرت السنون وأهل أيوب لا يستطيعون على جيرته صبرًا، ولا يحتملون له قُربًا، وجهروا باستيائهم، وأظهروا تذمرهم بالأقوال والأفعال، فلم تجد رحمة بُدًّا من أن تعرش لزوجها عريشًا في ظاهر المدينة وتنقله إليه.

وانتقل أيوب الذي كان يملك الضِّياع، ويسكن القصور إلى عريش من قشٍّ على قارعة الطريق، ورغم ذلك لم يتركه الناس لحاله، بل كانوا إذا مروا عليه أظهروا تذمرهم، وأبدوا تآففهم، وقالوا: لو كان ربٌّ له حاجة فيه لما فَعَلَ به ذلك؟!.

وإزاء هذا الذي يُبْديه الناس من مظاهر الاستياء والنفور لم تجد رحمة بداً من أن تنقله إلى بعيد عن طريق السابلة، حتى تتقي أذناه سماع أقوالهم المؤلمة، وتحجب عن عينيه إشاراتهم وحركاتهم الدالة على النفور من رؤيته.

وهكذا ظل أيوب تمر عليه السنة تلو السنة، وهو جسد ملقى في عريشه، لا يصدر عنه حركة إلا حركة لسانه في فمه بذكر الله، ولا يُسمع منه صوت إلا صوت يردد اسم الله.

كانت رحمة زوجة أيوب تنهض صباحًا فتقضي له شئونه، ثم تتوجه إلى المدينة، حيث تقوم بخدمة الناس، لتكسب بها ولأيوب ثمن طعامهما، .وما يقوم بأودهما، ثم تعود إليه في نهاية اليوم بما تيسَّر لها الحصول عليه من طعام فتطعمه وتسقيه، وتقضي الليل بجانبه، فإذا أصبح الصبح، عاودت ما فعلته بالأمس، ولكن هذه الحالة أيضًا لم تدم لأيوب ولزوجه طويلاً، فلم يلبث الناس الذين

كانت تقوم رحمة بخدمتهم أن ابتدءوا يشمئزون منها ويتذمرون من خدماتها، لعلمهم أنها تقوم على خدمة أيوب المبتلى، وعلى غسل جروحه، وتضميد قروحه، فأظهروا لها الامتعاض عن خدماتها لهم، ثم صارحوها بأنهم ليسوا في حاجة إلى ما تقوم لهم من الأعمال، وهكذا سُدَّت منافذ الكسب في وَجه رحمة!.

ولم تدر رحمة ماذا تفعل، ولا من أين تأتي زوجها المبتلى بما يمسك به رمقه، ويرطب جفاف حلقه.

لقد هجره الناس وهجروها، ولم يعد أحد يسأل عنهما، أو يستفهم عما صار إليه من حالهما، وآل إليه أمرهما، حتى أصحاب أيوب الأوفياء: يلدد، واليفر، وصافر، الذين كانوا يدينون بدينه، ويتبعون تعاليمه، صاروا لا يزورنه إلا لمامًا ، ولا يكلفون أنفسهم أن يعرفوا كيف يأكل وكيف يشرب، وضاقت الدنيا في عيني رحمة .. إنها لا تملك شيئًا تبيعه، وقد صانت نفسها عن

ذل السؤال،لكن رحمة فكرت وهداها الله إلى ما تفعل!!.

الضفائر:

اتجهت رحمة إلى سوق في ظاهر المدينة، وقد قصت ضفيرة من ضفائر شعرها لتبيعه زينة للنساء في السوق، وجلست رحمة مع البائعات تعرض بضاعتها وهي ضفيرة من الخيط الذهبية الطويلة الناعمة، هكذا كان شعرها وتاج رأسها.

وأقبلت النساء ينشدن الجمال، ويرغبن في الزينة، فأعجبن بضفيرة شعر رحمة، وتهافتن على شرائها، ليستخدمنها تاجًا للرأس، أو يصلنها بشعورهن القصيرة، ليطول شعرهن .. وأخيرًا فازت بها واحدة منهن، فابتاعتها رحمة، ودفعت إليها ثمنها، وسألت أخرى رحمة: هل تستطيعين أن تأتيني بمثلها في السوق القادمة، وابتاعت رحمة بثمن شعرها طعامًا وشرابًا، وعادت إلى زوجها تطعمه وتسقيه، ما أوفاك يا رحمة! .. وما أبرَّك! .

وفي السوق القادمة ذهبت رحمة إليها، فباعت البقية الباقية من حلية شعرها لتتخذ منها امرأة أخرى حلية مستعارة لها، وتتخذ هي من ثمنها ما يمسك رمقها ورمق زوجها.

وعادت رحمة إلى زوجها تفكر فيما عسى أن تفعل بعد أن ينفذ ثمن ما باعت وما الذي بقي لتبيعه؟!.

شعرت رحمة بالأسى والتعب فذهبت إلى أيوب، وجلست إلى جواره، وقالت: يا أيوب .. إلى متى يا أيوب ونحن ننتظر رحمة الله؟ .. لقد مرَّت عليك السنون الطويلة، وأنت على هذه الحال دون أن ينالك الله برحمته.

غضب أيوب وصرخ في امرأته بقدر ما يستطيع صوته الضعيف الواهن، وقال: قلت لك يا امرأة اتركيني واغربي عن وجهي، اقسم بالله لئن شفاني الله يومًا، لأضربنك مائة ضربة.

ورأت رحمة من الحكمة أن تترك زوجها بعض

الوقت، فتركته وانصرفت.

جلس أيوب راضيًا بقضاء الله، ثم طاف بذهنه ما دار بينه وبين زوجته، وما أبعدها لأجله، فإذا به يبتهل إلى الله قائلاً: إنِّي مسني الشيطان بنصب وعذاب، ربٍّ: إني مسني الضرُّ، وأنت أرحم الراحمين، أَبْعِدْ بقدرتك التي وسعت كل شيء الداءَ على لساني حتى أستطيع ذكرك وأقدر على تسبيحك، وسكت أيوب، وسكن السكون من حوله سلامًا، ونزل وحي الله على أيوب، اركض برجلك ، هذا مُغتسل بارد وشراب.

وضرب أيوب الأرض برجله الضعيفة كما أمره الله، فانفجرت عيون من ماء عذب باردٍ صافٍ ، فاغتسل أيوب بماء إحدى هذه العيون الذي فجره الله له، وشرب أيوب من عين ماء أخرى، فإذا به سليم معافى، قد سرت في جسمه القوة ودبَّ النشاط، وكانت إحدى معجزات الله القادر على كل شيء، الذي يقول للشيء: كن، فيكون.

وجلس أيوب وقد استرد صحته، وعافيته، ورونقه،

وجماله، فشكر الله على ما ابتلاه وعلى ما أنعم عليه.

وجاءت رحمة، لم تعرف أيوب في البداية، ولكن ما إن عرفته حتى أسرعت إليه تعانقه وتقبله، لا تكاد تسعها الأرض لفرط فرحها، وقد أدركت أن الله الذي كادت أن تيأس من رحمته قد شمل أيوب برحمته، فقالت: سامحني يا أيوب، واطلب من ربك أن يغفر لي، قال: لقد أقسمت يا رحمة .. إن شفاني الله أن أضربك مائة ضربة، فقالت: افعل يا أيوب، فأنا بكل ما شئت راضية.

فأوحى الله إليه أن يأخذ أيوب حزمة تحوي مائة عود من القش، وضرب بها جمعًا زوجته ضربة واحدة، وبهذا حلل الله أيوب من قسمه، وعفا عن رحمة جزاء برها بأيوب.

وأتى الله أيوب ماله وأولاده جميعًا، ومثلهم معهم، وكانت آية الله في ذلك أن قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (ص:٤٣).



حكايات خصلة الشعر

الماشطة والبقرة النحاسية

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه





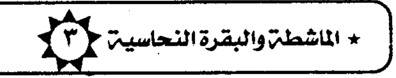


الماشطة والبقرة النحاسية

قال رسول الله ﷺ : «لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟، فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قلت: وما شأنها، قال جبريل: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المدرى من يديها (وهي أداة يسرح بها الشعر)، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟، قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟، قالت: نعم، فأخبرته» (١).

قبل أن ننهي حديث الرسول ﷺ لنرى ما حدث معها، تعالوا لنعرف قصة هذه السيدة المؤمنة

(١) رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣/ ٣٠٩) ط: المكتب الإسلامي، وحسَّن إسناده محققوا «مسند» أحمد، وعزوه إلى الطبراني وابن حبان.



وعلاقتها بربها :

تعد ماشطة فرعون أو ماشطة ابنته، حيث كانت تمشط شعرها، تعد واحدة من ثلاث كانوا أقرب النَّاس إلى فرعون، فهي ماشطة لابنته في داره ومعها آسيا بنت مزاحم زوجته، وحزقيل مؤمن آل فرعون.

ولنأت أولاً على آسيا زوجة فرعون، وهي أحد المؤمنين الثلاثة حزقيل والماشطة وهي، فقد كانت تسمع حوار موسى عليه السلام مع فرعون، وكانت تعرف موسى حق المعرفة، لأنها هي التي ربته وأنشأته في بيتها، لقد كان كلام موسى عليه السلام والذي هو من كلام رب العزة مصدر إلهام لآسيا بنت مزاحم.

تذكرت آسيا حديث موسى عن ربه، عندما قالت: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

آمنت آسيا امرأة فرعون بكل هذا، وكانت أول

المؤمنات بدعوة موسى عليه السلام، وباحت بمشاعرها هذه إلى خادمتها وماشطة بناتها.

ولما جاء موقف السحرة وموسى عليه السلام، ونصر الله موسى بثعبانه الضخم الذي التهم كل الثعابين سحرهم، فرحت آسيا وحمدت ربها كثيراً أن نصر عبده موسى عليه السلام، بعدما اجتمع عليه كل هذا الملأ ودولة فرعون كلها، وكانت سعادة آسيا ومعها الماشطة المؤمنة غامرة عندما آمن السحرة برب موسى عليه السلام، فكانت ضربة أصابت فرعون في مقتله، ولذلك فقد انتقم من السحرة، وصبَّ عليهم غضبه، فقَتَل منهم من قتل، وعذَّب من عذب، ولكن أجرهم عند الله الذي آمنوا بما جاء به نبيه موسى عليه السلام.

عاد فرعون، بعد موقف السحرة يوم الزينة

وانتصار موسى عليه السلام وإيمان السحرة إلى قصره ذليلاً آسفًا، مطأطئ الرأس، أما آسيا فقد أحزنها عناد فرعون وجبروته، لكنها لا تستطيع أن تتحدث بشيء مما امتلأ به صدرها، أما فرعون فقد جلس يزمجر في غضب، ويقول لحاشيته: دعوني أقتل موسى .. دعوني أقتل موسى، وفيما هو في حالته هذه وقف في مجلسه من يتكلم بجرأة، إنه حزقيل مؤمن آل فرعون، وارتعدت آسيا خوفًا على الرجل المؤمن، لأنه تكلم بصوت عال أجش، وقف في هذا الوقت بالذات، وقال مقالته موجهًا حديثه لفرعون وقومه.

كان حزقيل مؤمن آل فرعون، رجلاً مؤمنًا، وصفه القرآن الكريم بالإيمان.

اختلطت الدهشة بالغضب عند فرعون عندما سمع قول هذا المؤمن، والذي هو من عشيرته، وقيل

إنه ابن عم له، كيف يجرؤ هذا الرجل وهو في عشيرتي وأهلي أن يتكلم أمامي وأمام الناس بهذه الصورة، لقد أعلن إيمانه أمام الناس، وأنا أقول للناس أنا ربكم.

ولم يطل فرعون التفكير بل لم يسعفه حزقيل، وإنما وجه نصحه لهؤلاء الكفار الذي اتبعوا فرعون على الضلال، قال لهم في نصح سديد، وقوله فيه رحمة ودعوة إلى الإيمان بالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وهو خالقهم، ورازقهم، فكيف لا تدرك عقولهم كل ذلك.

قال لهم: إني أخاف عليكم يوم الحساب، يوم يناديكم ربكم للحساب في هذا اليوم، لا تجدوا غير الله يعصمكم من النار.

قال حزقيل مؤمن آل فرعون كلمته ومضى، وقد

نجَّاه ربه من عذاب فرعون، ولقد رعاه ربه لأنه كان مخلصًا صادقًا يجزل النصح للناس ولا يخشى في الحق لومة لائم.

أما الثالثة التي كتمت إيمانها، فهي الماشطة، وقد علم رسول الله ﷺ بقصتها عندما عرج إلى السموات العُلا في ليلة الإسراء.

كانت ماشطة بنات فرعون تعيش في قصره، وتعتني بابنته، فتشرف على نظافتها، وتمشط شعرها، وتقوم بكل شأنها، ولأنها كانت قريبة من أسرة فرعون إلى هذه الدرجة، فإنها كانت تلقي منهم معاملة حسنة، ولكن إيمانها بربها كان أقوى من أية معاملة تُعامل بها في قصور فرعون، فقد آمنت وعلمت أن سيدتها آسيا قد آمنت برب موسى عليه السلام، وكل منهما تكتم إيمانها، وقد اتحدت

العقيدة في صدر سيدة القصر آسيا وخادمة القصر الماشطة، وأصبحتا وحدة واحدة، تسبِّح بحمد خالقها، وتؤمن بوحدانية وربوبيّته سبحانه جلَّ شأنه، وكان مؤمن آل فرعون ثالثهما في الإيمان والعقيدة السليمة الصالحة، لكنه لم يستطع أن يخفي ما في نفسه، فالله وحده يعلم بعلم ما في نفسه، قال كلمته أمام سلطان جائر ظالم هو فرعون.

وقد روى أن مؤمن آل فرعون كان زوجًا للماشطة وأبًا لأبنائها، وما يهمنا هنا أن أسيا والماشطة، ومؤمن آل فرعون قد اتحدوا في إيمانهم وصدقهم.

ثم ماذا عن قصة الماشطة؟ .. لقد كانت كعادتها كل يوم تمشط شعر ابنة فرعون، فتسويه، وترسله لكي يكون ناعمًا هفهافًا، وبينما هي تؤدي عملها سقط من يدها المشط الذي تمشط به شعر

الفتاة، فمدت يدها تتناوله، ثم قالت: بسم الله، وكل مؤمن يستهل عمله باسم الله، وإذا عثر يقول: بسم الله، وإذا خاف يقول: بسم الله، دائمًا يذكر اسم الله .

نظرت ابنة فرعون لماشطتها وهي تكن لها حبًا جمًا، وكانت لا تعرف ربًا غير أبيها، جاهلة بأمر الدين، تعتقد بصحة ما يدَّعيه فرعون بأنه رب وإله، وقوله هذا كذب تعرفه الماشطة.

قالت ابنة فرعون تستفهم عن قولها: باسمِ الله، أهو أبي؟،أي الذي سميت باسمِهِ وقلت:باسم الله ، أهو أبي ؟!.

لكن الماشطة رفضت الجهل، ورغبت أن تكون داعية صادقة للفتاة، والله وحده هو القوي الجبار، فلن تخشى عبدًا ذليلاً من عباده أو خلقًا من

مخلوقاته أصاب الجهل عقله، وغزا الكفر قلبه.

قررت الماشطة أن تقول مقولة الإيمان، وليكن ما يكون، إنها تعلم ما يمكن أن يحدث لها ولأطفالها من جراء مقولتها هذه، ولكنها تحدت نفسها وقررت ألا تخفي شيئًا تؤمن به، قالت في هدوءٍ واطمئنان: الله ربي .. ورب أبيك.

نظرت الفتاة مستغربة حديث ماشطتها، وقالت لها في هدوء: أأخبر أبي فرعون بذلك؟، فقالت الماشطة على الفور: نعم، وقالت: نعم للإيمان، وقالت: نعم للتوحيد، ورفضت الكفر والعصيان.

أما ابنة فرعون فلربما أرادت أو انتظرت من ماشطتها رجاءً كي لا تبلغ أباها، أو استرحامًا يروق لها، وتتنعم بتذللها ورجائها.

ولربما خافت عليها وهي تكنُّ لها ودًّا لقربها

منها، فأرادت أن تحتفظ بسرها كي لا يصيبها من أبيها أذى هي وأطفالها.

لم تتراجع الماشطة الصالحة والسيدة المؤمنة، بل قالت: نعم، ولم ترجع لتطلب الكتمان، لأنها كانت تريد إعلان إيمانها لأنها تشعر أنه وسام على صدرها لقوة عقيدتها، وتماسك إرادتها.

من ناحية أخرى، فقد ذهبت ابنة فرعون إلى أبيها الطاغية الضال، وأخبرته بما كان من الماشطة: أنه عندما سقط المشط من يدها، قالت: بسم الله، وتناولته: فقلت لها: أأبي؟، قالت: الله ربي .. ورب أبيك.

استغرَبَ فرعون هذا الكلام من الماشطة،وأَحَسَّ بالخطر يأتيه من داخل قصره، فأرسل من الحراس من يدعو له الماشطة، فجيء بها ولم تنكر الخبر، ولم

تشأ أن تكذب ما قالته الفتاة، بل استعلت بنفسها استعلاء المؤمنين، هذا الاستعلاء الذي يسمو محلقًا فوق كل جبروت للكفار والطغاة، فكل ما تتمناه الماشطة في هذا الموقف هو رضى الله سبحانه - عَزَّ وَجَلَّ - والعيش بين يديه ؛ لإدراكها أن تلك الحياة هي التي لا تنتهي ولا ينتهي نعيمها.

شمَّر فرعون الطاغية عن ساعده، وأعدَّ سلاحه الفاشل العاجز، لقد أمر أن يجيئوه بأداة مصنوعة من النحاس على شكل بقرة نحاسية، فاشتعلت تحتها النَّار حتى أوشكت على الإنصهار، واشتد حموها، ثم أمر أن تُلقى الماشطة وأولادها في جوف هذا الفرن النحاسي، الذي اتخذ شكل البقرة، بعد أن اشتدت حرارته بعنف، وانتظر فرعون الخوف والرعب الذي سيخرج من قلبها، وهي تروَّع وتخوَّف بهذه النار، انتظر أن ترجوه العفو أو تعلن

الرجوع عما قالته، ولكنَّها تقدمت لترجوه في أمر آخر، وهو يظن رجاءها للعفو والسماح، ولكنها قالت : بعد أن تحرقني اجمع بقايا عظامي أنا وأبنائي وضعهم في ثوب، ثم تدفن هذ البقايا المحترقة.

سكت فرعون لكن الغيظ تملكه، فكتم غيظه ثم ودعها بتحقيق مطلبها الذي كان مفاجأة له لم يكن يتوقعها.

وأمر فرعون الملعون أن تُلقى الماشطة الطاهرة مع أولادها في جوف النار المشتعلة، على أن يلقى أولادها واحداً تلو الآخر، قبل أن تُلقى هي، كي يريها العذاب الذي ظن أنه قد يرجعها عن إيمانها بالله، وترجع إلى الكفر من شدة الخوف، وتنكر قولها وعقيدتها وإذا كانت الماشطة أم حانية، والأم بفطرتها تحب أولادها وتتمنى أن تفديهم بروحها

وجسدها، وها هي ترى أولادها يحترقون أمامها في النار.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ في حديثه الشريف أن تلك المرأة استجابت لفطرتها ورقّ قلبها من أجل أبنائها، وتألمت ألمًا شديدًا، عندما جاء دور طفلها الرضيع ليلقى في النار، فتراجعت وتقاعست، وخافت عليه، وفكرت بالتراجع، عند ذلك تدخلت مشيئة الله، ورحمته بعباده، وحبّه للمؤمنين، فيدافع عنهم ويعينهم على إكمال دينهم وعقيدتهم، فما يفوق احتمالهم يجعل له حلاً وهو رب النار وخالقها، قادر على كل شيء، لقد ثبّتها الله، وثبّت إيمانها.

فأنطق رضيعها الصغير فوجدته ينظر إليها ويقول: يا أماه .. اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون

من عذاب يوم القيامة، فاقتحمت، وكانت رائحة جسدها المحترق وأجساد أولادها من الروائح الطيبة التي تحدَّث عنها الرسول ﷺ في حديثه الشريف.

وكانت الماشطة أحد الثلاثة المؤمنين في بيت فرعون، فاقتحمت النار، واستمعت لنصح رضيعها، وعلمت أن نار الدنيا لا تساوي شيئًا من نار الآخرة.

أما المؤمن مؤمن آل فرعون، فقد نصحهم وقال: **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾** (غافر: ٣٠).

وآسيا .. تركت زوجها فرعون، ودعت ربها قائلة: **﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** (التحريم: ١١).

حكايات خصلة الشعر

سر الخصلة والرسالة

(الفتح)

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه







سر الخصلة والرسالة (الفتح)

أنا خصلة الشعر، عرفت سر أخطر رسالة على وجه الأرض، وخطورة هذه الرسالة أنها كانت أمرين هما: أن الرسالة كانت ستفشي سرًا خطيرًا عن المسلمين، والرسول ﷺ ، والأمر الثاني هو أن هذه الرسالة التي كانت ستفشي سر رسول الله ﷺ أرسلها أحد أصحاب رسول الله ﷺ وبطل من أبطال يوم بدر!!.

ولكن هذا الصاحب الجليل لم يكن يقصد إيذاء النبي ﷺ أو خيانة أصحابه المسلمين، لذلك فقد تاب الله عليه لما كانت في نواياه من خير.

لقد تشوقنا إلى قصة « سر الخصلة والرسالة » ،



تقول القصة:

كان بنو بكر وخزاعة على خلاف شديد، وقتال مرير في الجاهلية قبل الإسلام، وبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك جاء الإسلام فحجز بينهما، وتشاغل الناس بالإسلام.

ولما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا على رسول الله ﷺ وشرط لهم أنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ.

فلما كانت تلك الهدنة في صلح الحديبية اغتنمتها

قبيلة بنو بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة بأولئك النفر الذين قتلوا منهم في الجاهلية، ويأخذوا بثأرهم، فخرج نوفل بن معاوية من بني بكر حتى أوقع بخزاعة إصابات، وكان ذلك ليلاً بالقرب من بئر يُقال له «الوتير»، فقتلوا من خزاعة رجلاً.

ودار بينهم قتال ساعدت فيه قريش بنو بكر، فقاتلت معهم بصورة خفية، حتى هزموا خزاعة وطاردوهم إلى الحرم، فلما انحازت قريش لبني بكر، ضد خزاعة، وهم حلفاء النبي ﷺ، وأصابوا منهم إصابات قاتلة،ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، خرج رجل من خزاعة هو عمرو بن سالم الخزاعي، حتى قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فلم وقف على رأس النبي ﷺ

في المسجد وجده جالسًا بين أصحابه، فقال له داعيًا:

المساندة والنصرة:

فــانصــر هداك الله نصــرًا اعــتــدا

وادع عــبــاد الله يـأتوا مــددا

أن قــريشًــا أخلفــوك الموعــدا

ونقــضــوا مــيــثــاقك المؤكــدا

إلى أن وصل إلي قوله: فقتلونا ركعًا وسجداً.

قال له ﷺ حين سمع ذلك: قد نُصِرْتَ يا عمرو، وجاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأخبروه بمن أصيب منهم، وبمظاهرة ومعاونة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا

راجعين إلى مكة، وقال رسول الله ﷺ : كأنِّي بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة.

ومضى بديل وأصحابه، فلقوا أبا سفيان بموضع بالقرب من مكة يُقال له: عسفان، قد أرسلته قريش ليجدد العقد (عقد الصلح) ويزيد المدة، وقد خافوا من أبي سفيان ومما صنعوا بتوجههم إلى رسول الله ﷺ.

فقال أبو سفيان: من أين أقبلت يا بُديل؟.

قال: سرت في خزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي.

فقال أبو سفيان مرتابًا: أجئت محمدًا ؟ .

قال: لا ـ وقد خاف أن يفشي سره لأبي سفيان ـ،



فلما راح إلى مكة.

قال أبو سفيان: إن كان بُديل ذهب إلى المدينة فقد أكلت راحلته النوى، ثم عمد إلى مبرك ناقته، فأخذ من بعرها ففتَّهُ، فرأي فيه النوى، فقال: أُقْسِمُ لقد جاء بُديلُ محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِم المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة - زوج رسول الله - ﷺ - ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنْه ، فقال: يا بُنَيَّه ، والله ما أدري .. أرغبت بي عن هذا الفراش، قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك، فلم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال: لقد أصابك يا بُنَيَّه بعدي شرا!.

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فكلمه فلم يرد عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلَّمه أن يُكلِّم رسول الله ﷺ ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه، فقال: أنا أشفع إلى رسول الله .. فوالله لو لم أجد إلا صغار النمل لجاهدتكم به.

ثم خرج فدخل على عليٍّ بن أبي طالب، وعنده فاطمة ومعها الحسن بين يديها، فقال: يا علي .. إنَّك أمس القوم بي رحمًا، وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن - كما جئت - خائبًا، اشفع لنا عند محمد.

قال عليٌّ: ويحك يا أبا سفيان .. والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما تستطيع أن تكلمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة، فقال: يابنت محمد .. هل لك أن تأمري بنيك هذا - يقصد الحسن - فيجبر بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

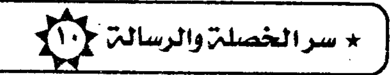
قالت: والله ما بلغ بنيٍّ ذاك أن يجبر بين الناس، وما يجبر على رسول الله أحد.

قال أبو سفيان: يا أبا الحسن .. إني أرى الأمور قد اشتدت عليٍّ، فانصحني.

فقال عليٌّ: والله ما أعلم شيئًا يُغني عنك شيئًا، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، فالحق بأرضك.

قال أبو سفيان: أو ترى في ذلك مغنيًا عني شيئًا.

قال: لا .. والله ما أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك.



فركب أبو سفيان بعيره، وانطلق إلى مكة، بعد أن قال: أيها الناس .. إني أجرت بين الناس، فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟، قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما ردَّ على شيئًا، ثم جئت ابن أبي قحافة (أبو بكر)، فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم جئت علي بن أبي طالب، فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ عليٌّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغنيني شيئًا أم لا؟، قالوا: وبماذا أمرك؟، قال: أمرني أن بين الناس - أي: أفصل بينهم، ومنعهم من البغي والعدوان -، قالوا: فهل أجاز ذلك محمداً؟، قال: لا، قالوا: ويلك .. والله إنَّ زَادَ (طعام) عليّ بن أبي طالب قد لعب برأسك .. فماذا يغني عنا ما قلت؟، قال: والله ما وجدت غير ذلك.

أما رسول الله ﷺ فقد أمر بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرِّك جهاز النبي ﷺ، فقال: أي بنية .. أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟، قالت: نعم نتجهز، قال: أين ترينه يريد؟، قالت: والله ما أدري.

ثم أعلم رسول الله ﷺ الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ وكتمان السر، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها (نفاجئها) في بلادها.

تجهز الناس في المدينة وأسروا وجهة خروجهم، ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، وعقد العزم على ذلك، كتب حاطب بن أبي بلتعة رسالة إلى قريش، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من السير

إليهم، ثم أعطاه امرأة، وكان اسمها سارة، وكانت تخدم في بَيت عبد المطلب جد النبي ﷺ، وجعل حاطب لها أجراً وإن هي بلَّغت الرسالة إلى قريش، فجعلته في شعر رأسها، وفي خصلة من خصلاته، ثم خرجت بالرسالة.

أتى رسول الله ﷺ خبر الرسالة من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليًا والمقداد والزبير بن العوام، وأبا مرثد الغنويَّ، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب إلى قريش.

فانطلقوا مسرعين تعدوا بهم خيلهم حتى وجدوا سارة بذلك المكان، فاستنزلوها، وقالوا: معك كتاب؟، فقالت: ما معي كتاب، ففتشوا رحالها فلم يجدوا

شيئًا، فقال لها عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحلف بالله .. ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد منه قالت: أعرض .. فأعرض، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليهم، فأتوا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبًا ، فقال: يا حاطب،ما حملك على هذا ؟، فقال حاطب: يا رسول الله،أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله،ما غيَّرت وما بدَّلت، ولكني كنت امرءًا ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم عليهم.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا رسول الله .. دعني أضرب

عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر .. لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم.

ثم أنزل الله تعالى الآيات التي تدل على ما قاله رسول الله ﷺ من عفو عن حاطب، فقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة: ١).

هذه هي قصتي مع الرسالة، وهذا هوى سري الذي خفت أن أتهم بإفشائه لأني كنت خصلة في رأس سارة، التي خبأت فيها الرسالة الخطيرة .. فأحمد الله على ذلك.



نشاطات تعليمية:

(١) متى بدأ الخلاف بين بني بكر وخزاعة؟

....

(٢) هل استمر هذا في الإسلام؟

....

(٣) ماذا فعلت بكر بخزاعة بعد صلح الحديبية؟

....

(٤) لماذا أسرع أبو سفيان إلى المدينة؟

....

(٥) ماذا قال الرسول ﷺ لعمرو بن سالم الخزاعي؟

....

(٦) ما الذي فعله حاطب بن أبي بلتعة؟

....

(٧) كيف عرف الرسول ﷺ سر الرسالة؟.

....

(٨) من الذي لحق بسارة واسترجع الرسالة؟.

....

حكايات خصلة الشعر

شعيرات في البئر

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه







شعيرات في البئر

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس).

السحر في القرآن:

ورد السحر في القرآن الكريم، وكلنا نعرف أن



آيات عديدة تحدثت عن السحر، ومنها: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩).

وكلنا يعرف قصة سحرة فرعون وموسى عليه السلام، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة، فقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ٦٣-٦٦).

نتعلم من هذه الآيات السابقة أن القرآن لم

ينسب للسحر قدرة خارقة ومعجزة، ولكنه بيَّن أن السحر مجرد تخيل، فقد قالت الآية السابقة: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ إلي سيدنا موسى عليه السلام ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾.

والسحر صناعة كيدية لا تضر ولا تنفع، ولا تسمن ولا تغني من جوع، والسحر عمل فاسد، وقد حدد القرآن فساد عمل السحر، وأنه لا يعتمد عليه، فهو عمل سلبي لا قيمة له، ويتبين لنا ذلك من قول موسى في الآية الكريمة: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١).

وقد سخَّر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الجن لنبي الله سليمان عليه السلام، وقد كانت الشياطين في عهد سليمان عليه السلام

تُلقِّنُ كهان اليهود قواعد السحر، وتدَّعي كذبًا أن ملك سليمان عليه السلام وسلطانه على الإنس والجن من كتب السحر على عهد سليمان عليه السلام .

وقد كانت الشياطين في عهد سليمان عليه السلام تلقن كهان اليهود قواعد السحر، وتدعي كذبًا أن ملك سليمان وسلطانه على الإنس والجن والطير والريح قام على قواعد السحر، دونت في كتب لدى اليهود توارثوها حتى وصلت إلى اليهود في المدينة.

وقد كتبت الشياطين السحر على لسان «آصف» كاتب سليمان، ودفنوه تحت مصلاه، حين انتزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات سليمان استخرجوه، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا السحر فتعلموه، أما علماء بني إسرائيل فقالوا معاذ

الله أن يكون هذا علم سليمان ! .

أما الكفرة السفلة منهم، فقالوا: هذا علم سليمان وتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم حتى بعث الله محمداً ﷺ، فأنزل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه محمد ﷺ عذر سليمان وبراءته من رمى به[1]، عندما قالوا: إن ملك سليمان وسلطانه على الإنس والجن والطير والريح قام على السحر، فقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

---

(١) «تفسير القرطبي» الجزء الثاني ـ الآية.

وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقد حاول اليهود استخدام ما توارثوه من آبائهم من السحر في إيذاء النبي ﷺ في المدينة، وقام بهذا العمل الفاسد رجل يهودي من يهود بني زُرَيْق الذين كانوا يعيشون في المدينة، وعاهدوا النبي ﷺ على الأمن والأمان، ولكن رجلاً من هؤلاء، هو لُبيد ابن الأعصم ، سحر النبي ﷺ .

ولكن ما هي قصة سحر اليهود للنبي ﷺ ، هذا ما سنسمعه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : روت عائشة رضي الله عنها ، فقالت: سَحَرَ رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يُقال له: لُبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل

الشيء وما يفعله.

حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «**يا عائشة .. أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ .. جاءني رجلان، فقعدا أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟، قال: مطبوب** - أي: مسحور - **قال: من طبه؟** - أي من سحره - **قال: لُبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟، قال: في مُشط ومُشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: فأين هو؟، قال: في بئر ذي أروان**».

قالت عائشة: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: «**يا عائشة .. والله لكأن ماءها نُقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين**»،

قالت: فقلت: يا رسول الله ﷺ .. أفلا أحرقته، قال ﷺ: **«لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت»**[1].

تحدثت عائشة في الحديث السابق الذي تحدثنا عنه أن النبي ﷺ أتى البئر فاستخرج منه ما سحره به لبيد بن الأعصم، وفي نص آخر: أن النبي ﷺ أرسل إلى البئر ابن عمه عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه، والزبير ابن العوام، وعمار بن ياسر، فنزحوا البئر، وافرغوا منه الماء، فكان كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجنَّ، فإذا به مشاطة رأس النبي ﷺ من شعيرات رأسه، وأسنان من مشطه، وإذا فيه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧١٩/٤)، والبخاري (١٩٢/١٠)، وزاد في روايته «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» بدلاً من «حتى كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله».

وتر معقود فيه اثنا عشر عُقدة مغروزة بالإبرة، فأنزل الله سبحانه وتعالى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خُفَّة ـ أي: أصبح خفيفًا حرًا ـ حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام ﷺ كأنما نشط من عقال، أي: كأنه مقيد وانفك قيده، وجعل جبريل عليه السلام يقول: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين.

فقيل: يا رسول الله .. أفلا تأخذ الخبيث نقتله ـ يقصدون الساحر الذي سحره ـ، فقال ﷺ: **«أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً»**(١).

ورفض النبي ﷺ أن يقتل لُبيد بن الأعصم

---

(١) «تفسير ابن كثير» جـ٤ (ص٥٧٣).



اليهودي الفاسد، وذلك لخُلُقه العظيم، وعفوه الكريم، ولأن رسول الله ﷺ كان يتخلق بخُلُق القرآن، فلما سُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقه ﷺ قالت: «كان خُلُقه القرآن» .

ويقول ابن كثير في (التفسير): جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال: اشتكيت يا محمد؟، فقال: «نعم»، فقال جبريل: بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، من شر كل حاسد أو عين، والله يشفيك.

ولعل هذا كان من شكواه حين سحر، ثم عافاه الله سبحانه - عَزَّ وَجَلَّ -، وشفاه الله، ورد كيد السحرة من اليهود من رؤوسهم، وجعل تدميرهم من تدبيرهم وفضحهم[1] .

(١) المصدر السابق نفسه.



وقد حاول اليهود بسحرهم للنبي ﷺ أن يسيئوا للإسلام، وقالوا: كيف يُسحر وهو نبي؟، لكن هؤلاء لا يعرفون أن السحر الذي أصيب به ﷺ إنما كان موجهاً إلى جسده من الخارج كما هو معروف، ولم يؤثر في عقله وقلبه واعتقاده ، فمعافاته من السحر كمعافاته من أي مرض يتعرض له كبشر.

عصمة النبي ﷺ :

وقد عصم الله - عَزَّ وَجَلَّ - نبيه محمد ﷺ وحماه من كل شر، فما إن سحره اليهودي لُبيد بن الأعصم حتى جاء جبريل ليرقيه بالرقية الشرعية، فقال: بسم الله أرقيك ، من كل داء يؤذيك، من شر كل حاسد أو عين ، والله يشفيك.

وقد عصم رب العزة نبيه ﷺ وحماه أيضًا من الشيطان، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قام يصلي، فسمعه بعض أصحابه يقول: «**أعوذ بالله منك**»، ثم قال ﷺ : «**ألعنك بلعنة الله .. ألعنك بلعنة الله .. ألعنك بلعنة الله**»، وبسط يده وكأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة ، قال أصحابه: يا رسول الله ، سمعناك تقول في الصلاة شيئًا، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال ﷺ : «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب** - أي بشعلة من نار - **ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات**»، ثم قلت : «**ألعنك بلعنة الله التامة** - يعني الدائمة - **فاستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان،لأصبح موثقًا**- مربوطًا -

تلعب به ولدان أهل المدينة»[1] .

ودعوة سليمان عليه السلام هي قوله: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ (ص: ٣٥).

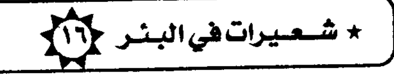
وقد أعطى الله سليمان عليه السلام وسخر له الجن، والطير، والريح، فسخرهم لنفع الناس وعمارة الأرض، ولم يسخرهم في الإيذاء أبداً.

وقد علَّمتْ الشياطينُ السحرَ لبني الإنسان بعد وفاة سليمان عليه السلام ليؤذوا به الناس، ولكنهم لم يفلحوا، لقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ **وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ (طه: ٦٩).

---

(١) رواه مسلم.

ولم تفلح هذه الشعيرات التي وضعها لُبيد بن الأعصم في البئر في إيذاء النبي ﷺ، فقد كان معصومًا ومحميًا من ربه .



حكايات خصلة الشعر

اللحية المباركة

تأليف الفقير إلى عفو ربه
عبد المنعم الهاشمي
عفا الله عنه







اللحية المباركة

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ .

(طه: ٩٢-٩٤).

(١) موسى وهارون:

موسى عليه السلام، أخو هارون عليه السلام، أرسلهما ربهما إلى فرعون؛ موسى كليم الله ، كلّم ربه في الوادي المقدس، عند جبل الطور بسيناء، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وأعطاه فيها النبوة،

وكلمه فيها، فقد كان عائداً إلى مصر، ومعه زوجته صفورا ابنة شعيب، في هذه الليلة أخطأ موسى الطريق، حتى أنه كان لا يدري أين يتوجه، كان ذلك في الشتاء، والجو بارد، فظهرت له نارٌ ، فلما ظن أنها ناراً ، وكانت من نور الله، قال لزوجته: ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (طه: ١٠).

كان يريد أن يأتي ببعض هذه النار كي يستدفئ بها أهله (زوجته)، فلما اقترب منها وجد النار في شجرة، فلما اقترب منها سمع ربه - تعالى - يقول: ﴿ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه: ١٢)، فألقاهما.

ثم سمع ربه يقول: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ

(١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ١٦-٢٠).

عندئذٍ رأىٰ موسى أمرًا فظيعًا، حية ضخمة تقف أمامه، فولى مدبرًا خائفًا، فناداه ربه: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ (طه: ٢١)، أي: سنعيدها عصًا كما كانت، فلما أقبل خائفًا من الحية الواقفة أمامه، قال له رب العزة: ﴿ خُذْهَا وَلا تَخَفْ ﴾ وأدخل يديك في فمها، وكانت تفتح فمها، فلف موسى يده بكمه، وهو لها هائب خائف، فنودي أن القِ كمك عن يدك، فألقاه عن يده، ثم أدخل يده بين لحييها، فلما أمسك بها عادت عصًا في يده كما كانت، ثم قيل: ﴿ وَأَدْخِلْ

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (النمل: ١٢).

وكان موسى عليه السلام رجلاً يميل إلى السمرة طوالاً، فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاءً مثل الثلج، ثم ردَّها في جيبه، فخرجت كما كانت على لونه.

عندئذٍ أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون بعد أن أعطاه هذه الأسلحة، ومنها: العصا ، فقال له الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص: ٣٢)، فخاف موسى عليه السلام وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: ٣٣).

ورشح موسى أخاه هارون ليذهب معه، فقال تعالى : ﴿وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ

مَعِي رِدْءاً﴾ (القصص: ٣٤) ، أي: يبين لهم ما كلمهم به، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون.

فاستجاب الله لطلب موسى عليه السلام في ضم أخيه هارون معه ليبلغا رسالة ربهما، فقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص: ٣٥).

(٢) في معية موسى عليه السلام عند فرعون:

ذهب هارون مع أخيه موسى إلى فرعون وحضر كل المشاهد، فقد سافر موسى إلى مصر بعد أن كلفه ربه بالرسالة، فأقبل بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلاً، فنزل ضيفًا على أمه وهو لا يعرفهم، وكانوا يأكلون المرق، فنزل في جانب الدار، فجاءه هارون، فلما

أبصر ضيفه سأل أمه عنه، فأخبرته أنه ضيف، فدعاه فأكل معه، فلما جلسا تحدثا معًا، فسأله هارون: من أنت؟، قال: أنا موسى، فعرفه، وقام كل واحد منهما إلى صاحبه وتعانقا، فلما أن تعارفا قال له موسى: يا هارون .. انطلق معي إلى فرعون، إن الله قد أرسلنا إليه، فقال هارون عليه السلام: سمعٌ وطاعةٌ .. فقامت أمهما، فصاحت وقالت: أنشدكما الله ألا تذهبا إلى فرعون، فيقتلكما ، فأبيا، فانطلقا إليه ليلاً: فأتيا الباب فضرباه ، ففزع فرعون، وفزع البواب، وقال فرعون: من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة؟، فأشرف عليهما البواب فكلّمهما، فقال له موسى: إني رسول رب العالمين ، ففزع البواب، فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانًا يزعم أنه رسول رب العالمين ، أن أرسل معيَ بني إسرائيل، فعرفه فرعون

أنه موسى الذي ربَّاه، وقال له: ألم نربيك في قصرنا ونرعـاك، وظللت بيننا سنين طويلة، ثم فـعلت فعلتك وقتلت الرجل وهربت، فبين له موسى عليه السلام أن الله تـاب عليه واختاره نبيًا ، فقال له فرعون ـ وهارون واقف إلى جواره ـ :فمن ربكما يا موسى ، فأجابه موسى عليه السلام : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠).

وطلب فرعون دليل أو آية تثبت صدقه، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان ضخم، توجه نحو فرعون ليأخذه، فلما رآه زعر منه، وارتعد من الخوف وفر هربًا، وقال يا موسى: خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، واستُكمِلَتْ أحداث قصة موسى مع فرعون حتى مات فرعون غرقًا، واستمر هارون مع أخيه.

(٣) في غيْبة موسى:

ذهب موسى عليه السلام إلي ميقات (موعد) ربه، وقال لقومه: إني ذاهب على موعد مع ربي ولن أخلف الميعاد، ولن يزيد غيابي عنكم ثلاثين يومًا، إنني سأذهب إلي جبل قريب من جبل الطور واسمه جبل حوريب للقاء ربي، سأكلمه وأدعوه أن يصلح من شأنكم، ويصلح لكم بالكم، وهذا أخي هارن خليفة معكم، وقال موسى لهارون: كن ناصحاً وعونًا لهم، إلى أن أعود من هذا اللقاء المبارك.

وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر أنَّه إذا خرج مع بني إسرائيل منها، وأهلك الله عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يأخذون، أي: فيه تشريع يفرق بين الحلال والحرام، وينظم لهم

حياتهم، كي يطيعوا ربهم.

فلما أهلك الله فرعون، وأنجى بني إسرائيل، قالوا: يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا، فسأل موسى ربه ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين يومًا، ويتطهر ويطهر ثيابه، ويأتي إلى الجبل، جبل طور سيناء، ليكلمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يومًا أولهما أول ذي القعدة، وسار إلى الجبل واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه، فتسوك بعود خرنوب، وقيل: تسوك بلحاء شجرة، فأوحى الله إليه: أما علمت أن خلوف الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وأمره أن يصوم عشرة أيام، فصامها، وهي عشر ذي الحجة، ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو إسرائيل، لأن الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى، وكان السامري من أهل «باجَرْمي»، وقيل من بني إسرائيل، فقال هارون : إن الغنائم لا تحل لكم، والحُلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة، فاحفروا حفيرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى، ويرى فيه رأيه، ففعلوا ذلك، وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل، فألقاه فيه، فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار.

وذُكر أن السامري جمع الحلي من صدور نساء بني إسرائيل، أخذتها النساء من نساء مصر قبل خروجهن، وقتل فرعون وغرقه في البحر.

جمع السامري الذهب من صدور النساء، وكان

رجلاً يعرف النحت وصناعة الذهب، فصهره (جعله سائلاً قابلاً للتشكيل كالعجين)، فصنع منه عجلاً مجوفًا من الداخل، ووضعه في اتجاه الريح، بحيث يدخل الهواء في فتحته الخلفية، ويخرج من أنفه فيحدث صوتًا يشبه خوار، أو صوت العجل الحقيقي.

أمسك السامري العجل بيده، وخرج به على بني إسرائيل، فسألوه: هذا إلهكم وإله موسى، قالوا: لكن موسى ذهب للقاء ربه على موعد، قال السامري: لقد نسي موسى، ذهب للقاء ربه عند الجبل، بينما ربه ها هنا، وأشار إلى العجل.

عبد القوم العجل، فخرج لهم هارون مخبراً أو ناصحًا، وقال لهم: ليس هذا ربكم ولا رب موسى،

إن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري.

غضب القوم من هارون عليه السلام، وتجمع بعضهم عليه، وكادوا يقتلونه، ولكنه قال في نفسه: انتظر حتى يأتي موسى ليقف على حقيقة الأمر، وبينما هم عن هذه الحال، جاء موسى عليه السلام من موعد ربه، وكان موسى قويًا يخاف منه القوم، فلما رأى حالهم وهم يلتفون حوله، قال: ﴿ **بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي** ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

غضب موسى عليه السلام ونظر حوله فرأى هارون، فاتجه إليه غاضبًا، وألقى من يده ألواح التوراة التي كان يمسك بها في يده.

(٤) لحية هارون المباركة:

أمسك موسى أخاه هارون من شعر رأسه، ومن شعر ذقنه، ولحيته وشده بعنف قائلاً: لماذا لا تمنعهم من عبادة العجل، ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (طه: ٩٢-٩٣).

ارتعش هارون وخاف، وحاول التخلص من أخيه، وقال له: يابن أمٍّ .. لا تمسكني من شعري ولحيتي، إني خفت منهم أن يقتلوني، وخفت أن تقول لي: إنك فرقت القوم من بعدي، ولم يسمعوا نصيحتي، لقد ظنوني ضعيفًا وحيداً، وهمُّوا بقتلي، لا تجعلهم يفرحون لأنك غاضب عليّ .

عند ذلك خفف موسى من إمساكه بشعر هارون، ونظر إلى القوم، وقال لهم: لماذا لم تنتظروا

حتى أعود؟، وأخذ يوبخهم على جهلهم، ويخوفهم غضب الله، أما لحية هارون المباركة وخصلات شعره، فقد كانت في خشية من الله على الدوام.



حكايات خصلة الشعر

تحت يدي ألف شعرة

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه







تحت يدي ألف شعرة

الموت حق علينا جميعًا، ولنبي الله موسى عليه السلام مع الموت قصة تحدث عنها رسول الله ﷺ.

وموسى عليه السلام نبي الله أُرسل لفرعون ألعن طاغية وُجِدَ على ظهر الأرض، وأُرسل أيضًا إلى أمة عنيفة فيها أئمة الكفر، وجبابرة الشرك.

وقد اتَّسمت هذه الأمة التي أُرسل إليها موسى عليه السلام بسمات الشر والقسوة، وموسى عليه السلام داعية حكيم، ونبي كريم، عانى معاناة شديدة من تردد أمته، وكفر أمته، وعناد أمته، وجدال بني إسرائيل، ومع ذلك استطاع أن ينفذ بدعوته بين أمواج بحر متلاطم.

وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَام يحب الحياة إذا كان في حياته وأجله وطول عمره دعوة لله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسالة من أجل القضاء على الكفر والشرك، ونزع العباد من هاوية الكفر والضلال إلي قمة الطاعة والإيمان .

وكان موسى يحب الموت عندما يكون جوار ربه - عَزَّ وَجَلَّ - هو الجانب الآخر الذي يخرجه من الدنيا ومحنها ومصائبها وشياطينها إلى الآخرة دار القرار والخلد وجنات النعيم.

وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَام ينطلق في حكمه على الأمور والأشياء مما يراه أمامه، فها هو يستبعد أن يكون هناك من هو أكثر منه علمًا ، فيرسل الله له العبد الصالح الخضر عَلَيْهِ السَّلَام ليعرِّفه أن من عباد الله

من هو أعلم منه، فيصطحبه الخضر عليه السلام رحلة شهد فيها ثلاثة مواقف تثبت له أن هناك من هو أعلم منه، فخرق السفينة وهي في عرض البحر، فهبَّ موسى عليه السلام ليقول أخرقتها لتغرق أهلها، فينذره الخضر عليه السلام ألا يعترض على شيء هو فاعله حتى يبوح له بعلمه الذي لا يعلمه هو موسى، وانتقل إلى الغلام فذبحه، وكان ذلك العمل بمثابة صدمة لموسى عليه السلام لما فيه من إراقه دم غلام، وكذلك بناء جدار في قرية أهلها بخلاء.

وجاءه العلم من الخضر عليه السلام بأن السفينة لمساكين يعيشون في المدينة، وكان الملك يستولى على كل سفينة صالحة غير معيبة غصباً، فخرقها العبد الصالح الخضر ليبقيها لهم، ولا يأخذها



الملك، أما الغلام الذي قتله فكان لأبوين صالحين فخشي أن يرهق والديه طغيانًا وكفرًا.

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان تحته كنز ، فأراد أن يحفظ لهما الكنز إلي أن يريد الله لهما بالحصول عليه، فأعاد بناء الجدار، كل هذا العلم لم يكن موسى يعرف عنه شيء، وأراد الله أن يعلِّمه لموسى.

أراد الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن يعرّف موسى عليه السلام أن من عباد الله من هو أعلم منه.

وكذلك نجا موسى عليه السلام بفضل الله عندما استغاثه رجل من بني إسرائيل من أهله على رجل من آل فرعون فوكزه فقتله، لأن الله كان قد أعطاه

قوة غالبة في جسده.

فخرج من مصر مطارداً لينزل إلى بئر مدين، وهناك تعرف ببنات شعيب ومنهم «صفوراً» التي أصبحت زوجته، بعد أن ظل معهم لأكثر من عشر سنين، وفي الطريق من أرض مدين إلى أرض مصر، وعند طور سيناء كلمه ربه تكليماً، وأعطاه معجزة من المعجزات، وهي العصا التي كانت تصبح بمشيئة الله حية أو ثعبانًا غليظًا يرهق من أمامه خوفًا وفزعًا.

وفي مصر دخل على فرعون مع أخيه هارون متسلحًا بأسلحة ربه التي لا تُغلب، ففزع فرعون وهرول هاربًا وهو الطاغية القاتل، الجبار الظالم، الذي ترتعد أمامه فرائص الناس من الخوف، دخل

عليه ودعاه إلى عبادة الله الواحد، وفرعون يظن أنه إله ، وحسب فرعون أن موسى ساحرًا ؛ فأحضر سحرته بحبالهم وثعابينهم، فأمر موسى أن يلقى بعصاه التي تحولت إلى حية تأكل كل الحيات المسحورة، وظلت معركة موسى عليه السلام مستمرة إلى أن انتصر على فرعون ، وكان سلاحه الإيمان والمعجزات الإلهية.

فشق البحر بعصاه وغرق فرعون بأمر الله، ومضت حياته مع قومه عنيفة متلاطمة ، فها هو يذهب ذات يوم إلى موعد وميقات مع ربه ليعود؛ فيجد أن القوم افتتنوا بعجل السامري، وأصبحوا يعبدونه ويتركون عبادة الله، فيغضب غضبًا شديدًا، ويختار منهم عددًا يعدونه بعبادة الله

وطاعته ولكنهم لم ينفذوا عهدهم، فيرفع جبريل عليه السلام الجبل طائرًا في السماء ليلقيه عليهم فيصرخون بالتوبة والعودة.

وهكذا تمضي حياة موسى طويلة عريضة، مليئة بالأحداث والمواقف والمعجزات والمشاهد، بإيمان قومه وكفر بعضهم، وبارتداد البعض وعودتهم للإيمان.

كل هذا وموسى عليه السلام لا يكل ولا يمل، يحزن أحيانًا فيخفف عنه ربه هذا الحزن، كان يغضب غضبًا شديدًا من الكفر والفسوق والعصيان، وكان يسعد عندما يجد استجابة من قومه لدعوته.

كانت حياة موسى عليه السلام مليئة بالأمواج المتلاطمة، والنفوس المتصادمة، والمواقف المترددة، لكنه عليه السلام كان صبوراً حليماً مخلصاً في دعوته لله ، متفانيًا في عبادته ورضاه.

وكل إنسان مهما كانت مكانته فنهايته الموت، حتى النبي ﷺ ، قال له ربه: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ (الزمر : ٣٠).

وتحدث الرسول ﷺ عن مكانة الأنبياء عند ربهم، فبيَّن أنها مكانة عظيمة ؛ بحيث أنهم عند الموت يُخيَّرون بين الحياة في الدنيا، أو الانتقال إلى الرفيق الأعلى، ولعلنا نعرف أن آخر ما قاله الرسول ﷺ ، قبل قبض روحه الطاهرة: «**بل**

الرفيق الأعلى».

وقد أرسل الله - عَزَّ وَجَلَّ - ملك الموت إلى موسى عليه السلام، وجاءه ملك الموت على هيئة رجل، ونحن نعرف أن ملك الموت لا يراه أحد حينما يجيء لقبض الأرواح، ووصول ملك الموت عند موسى عليه السلام، يدل على أن أجل موسى قد قرب، وأوشك العمر على الانتهاء.

ومن المعروف أن موسى عليه السلام كان حاداً عنيفًا لما رآه من حدّة بني إسرائيل وجحودهم، فما إن جاء هذا الرجل الذي هو في الحقيقة ملك الموت، وعرفه موسى عليه السلام، فكان رد فعله الفوري أن لطم ملك الموت على وجهه ففقأ عينه، أي: عينه البشرية، لأنه جاء على هيئة بشر، وما هو ببشر بل

ملك كـريم، في حين أنه لو جـاء على هيئـة ملك الموت لما رآه مـوسى عليه السلام بحـيث يلطمـه على وجـهـه، وهذه مـشيئـة الله سبـحـانه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وعلمه بكل شيء.

رجع ملك الموت إلى رب العزة، وشكا له هذه الحدّة من موسى عليه السلام ، فرد الله ـ سبحانه وتعالى ـ تلك العين، وأمـره أن يعـود إلى مـوسى عليه السلام ، ويطلب منه أن يضع يده على ظهر ثور، ثم يعد هذه الشعرات التي كانت تحت يده حين وضعها على ظهر الثور، فيكون له بكل شعرة من تلك الشعـرات سنة، فيـمـد الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في عُـمْـر موسى بعدد هذه الشعرات التي سيضع يده عليها على ظهر الثور، ومن يعدهم !!؟.

ولكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي مرسل، وعبد صالح، ورسول كريم، وكليم الله، وهو شأنه شأن الأنبياء والمرسلين.

سأل موسى سؤالاً ينم عن إيمانه بالله، سأله عن نهاية هذه السنوات التي يريد أن يمد في عمره على عددها الضخم.

فجاءته الإجابة : إنه مهما طال العمر ولو لعشرات الألوف من السنين، فإن نهايتها الموت، ولا شيء غير الموت، لقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ** ﴾ (الجمعة: ٨).

ولذلك فقد اختار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الموت على

هذه السنوات البعيدة المديدة من العمر، لأنه يدرك أن جوار الرفيق الأعلى هو خير وأبقى من الدنيا وما فيها.

وقد تُميز الأنبياء والرسل عن غيرهم في الجنة، بل إنهم مُيِّزوا من رب العزة، فإذا كانت أرواح الشهداء تسرح في رياض الجنة، وتنعم بثمارها وأنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في سقف عرش الرحمن، فإن حياة الأنبياء والمرسلين: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وسليمان، وداود، وصالح، ومحمد ـ عليهم السلام ـ، تَسْمُوا وتعلو على ذلك كله.

اختار موسى عليه السلام الموت علي الحياة آلاف السنين، فمهما تطول فهي عائد إلى ربه إلى الرفيق

الأعلى، ولكن موسى عليه السلام كليم الله، طلب من ربه عندما تقبض روحه أن يقربه ويدنيه من الأرض المقدسة حتى يكون منها رمية حجر.

ويُعَدُّ طلب موسى عليه السلام هذا دليلاً على حبه للأرض المقدسة المباركة، حتى أنه طلب أن يدفن بالقرب منها، رغم أنه لم يطلب من ربه أن يموت فيها، لأنه يعلم أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قد حرمها على بني إسرائيل الذين عاشوا في عهد موسى عقاباً لهم على معصيتهم وتخاذلهم، وترددهم، وعدم طاعتهم لربهم عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، فقالوا لموسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤).

ولذلك فقد كتب الله عليهم التِّيه في الصحراء، فتاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة.

واستجاب الله لدعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما خذلوه ولم يخرجوا معه، وقد دعا موسى ربه، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥-٢٦).

واستجاب الله هذا الدعاء .. ومات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن بعده كل الأنبياء، ومات محمد ﷺ.



حكايات خصلة الشعر

شعرة معاوية

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه





شعرة معاوية

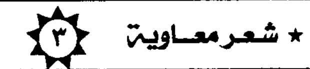
قال معاوية رضي الله عنه: **«لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت»**.

قبل أن نتحدث عن شعرة معاوية، هيا بينا نتعرف على معاوية نفسه:

(١) من هو معاوية ـ رضي الله عنه ـ ؟

هو حب رسول الله ﷺ، أحد كُتَّابه، وموضع ثقته ﷺ، وقد دعا رسول الله لمعاوية بقوله: **«اللهم اجعله هاديًا مهديًا»**(١).

(١) رواه الترمذي. انظر: «مفتاح كنوز السنة» (ص٤٧٦)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١٣٠).



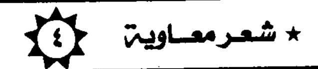
وبقوله ﷺ : «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[1] .

وقد أسلم معاوية بعد صلح الحديبية، وكتم إسلامه حتى أظهر عام الفتح (فتح مكة)، وكان في عمرة القضاء مسلمًا، قال معاوية : أسلمت يوم القضية ولقيت النبي ﷺ مسلمًا ، وكان معاوية يكتم إسلامه عن أمه وأبيه .

وأبوه هو أبو سفيان صخر بن حرب من أكبر تجار قريش ومن أكبر قادتها في الجاهلية، كان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين، وأسلم أبو سفيان ليلة الفتح وشهد غزوة حنين وغزوة الطائف .

---

(١) رواه أحمد. انظر: «مفتاح كنوز السنة» (ص٤٧٦)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١٣٠).



وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة، كانت امرأة متعالية، شهدت غزوة أحد وهي كافرة، أسلمت يوم الفتح، فلما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النِّسَاء، بايعت على الإسلام ومبادئه العظيمة.

وتحدث معاوية عن رسول الله ﷺ ، فقال: اتبعت رسول الله بوضوء، فلما توضأ نظر إلي فقال: «**يا معاوية .. إن وليت أمرًا فاتق الله واعدل**»، فما زلت أظن أني مبتلى بعمل».

وقال معاوية: وما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ : «**إن وُليت فأحسن**».

وكان معاوية موضع ثقة أبو بكر الصديق أيضًا، إذ ولاه جيشًا من جيوش المسلمين، وبعثه إلى أرض الشام مددًا لأخيه يزيد بن أبي سفيان.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يثق أيضًا في معاوية رضي الله عنه بعد موت أخيه يزيد، فلما بلغ عمر وفاة يزيد بن أبي سفيان، قال لأبي سفيان معزيًا في يزيد: أحسن الله عزاءك في يزيد رحمه الله، فقال له أبو سفيان: من وليت مكانه، فقال: أخاه معاوية، فقال: أبو سفيان: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين، وكذلك كان معاوية محبوبًا لعثمان بن عفان، فلما تولى: ولاه على بلاد الشام كلها، فأخلص له معاوية المشورة والنصح.

وقد نظم معاوية الشرطة، لحرصه على النظام، فجعل على الشرطة مسؤولاً يدير شؤونها، ويسهر على أمر قيامها بواجبها، وكان له كاتب خاص، وحرس خاص وحجاب خاصون، وكان له قضاة يحكمون بين الناس.

وكان معاوية من دهاةالعرب المشهورين الأذكياء، بل كان داهية العرب رأيًا وحزمًا ولسانًا، وكان مع ذلك حليمًا، كريمًا جوَّادًا بالمال.

(٢) الشعرة بينه وبين الناس:

ماذا يقصد معاوية بالشعرة التي بينه وبين الناس؟ .. وماذا فعلت له هذه الشعرة؟ .. وكيف كانت؟.

ولنسمع حديثه أولاً: قال: لا أصنع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة، ما انقطعت، فقيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟، قال: إذا مددها خليتها، وإذا خلوها مددتها.

يتحدث معاوية عن أسلوبه في الحياة، فيقول: أنني لو استخدمت العنف في حكم الناس إذا كان السوط

يكفي لتأديب المجرمين، ولا أستخدم السوط إذا كان لساني واللين والرفق هما طريقي لحل المشكلة.

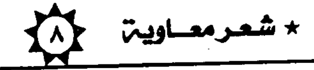
أما الشعرة .. فهو يقصد علاقته بين الناس، فهو لا يحب أن يقطع علاقته بالناس مهما كانت ضعيفة قليلة مثل الشعر، فإن أراد الناس أن يقطعوها أرخيتها، حتى لا تنقطع، وإذا أرخاها الناس لا أقطعها أنا.

فكان معاوية رضي الله عنه إذا جاءه من يقول عن رجل أشياء يكرهها مثل عداته له وكرهه له، قضى على هذه النميمة والحقد بالهدايا الضخمة والعطاء الكريم.

ويقول المؤرخون: وربما احتال عليه فبعث به في الحروب وقدَّمه.

(٣) معاوية وعمر رضي الله عنهما والشعرة:

ومن دهائه وذكائه وحرصه على الشعرة، وهي



علاقته بالناس جميعًا أميرًا ونقيرًا، نتحدث عن موقف له مع عمر:

فقد جاء عمر يومًا ودخل بلاد الشام، ورأى معاوية، فلما رآه قال: هذا كسرى العرب (وكسرى هو ملك الفرس)، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما اقترب منه قال عمر: أنت صاحب الموكب العظيم؟!، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال عمر حانقًا: مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ـ أي: الوقوف على بابه طلبًا للعطاء ـ، قال معاوية: ومع ما يبلغك من ذلك؟!، قال عمر يحاسبه: ولم تفعل هذا؟!، قال معاوية مدافعًا عن نفسه: يا أمير المؤمنين .. نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن تظهر من عز السلطان فترهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواحب الضروس - أي: محتاراً لا أدري إن كان ماتقوله صحيحًا أم خطأ -، ثم أضاف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حقًا إنه لرأي أريب، وإن كان خدعة إنه لخدعة إديب.

قال معاوية: فمرني يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لا آمرك ولا أنهاك، فأعجب الناس برد معاوية، وكذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والموقف الثاني كان من أبو مسلم الخولاني العالم والمؤمن الذي نزر نفسه للإسلام والدعوة، وكان هذا الرجل من اليمن هاجمه الأسود العنسي الكافر الشيطان، فخرج من اليمن إلي المدينة يريد لقاء رسول الله ﷺ، وقبل أن يصل المدينة توفى رسول الله ﷺ، فاستقبله عمر وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان يعرفان قصته مع

الأسود العنسي، ورحبا به وأحسنا ضيافته، ثم خرج أبو مسلم الخولاني من المدينة قاصداً بلاد الشام، لكي يتخذها له مقاماً، وكانت غايته أن يكون قريباً من الثغور، وهي المناطق الفاصلة بين بلاد المسلمين، وبلاد أعدائهم، ليشارك جيوش المسلمين في غزو الروم، ويفوز بأجر المرابط في سبيل الله، الملازم لثغور الأعداء، وفي الشام دخل على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتصدر مجلساً من مجالسه العامة، وقد أحاط به رجال دولته، وقادة جيشه ووجوه قومه.

ورأي الناس يبالغون في إعظامه وإجلاله، فخشيه عليه من ذلك أشد الخشية وبادره قائلاً: السلام عليك يا أجير المؤمنين، فالتفت إليه الناس وقالوا: أمير المؤمنين يا أبا مسلم، فلم يأبه لهم، وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين.

فقال الناس: أمير المؤمنين يا أبا مسلم .. فلم يعرهم سمعه، ولم يرم نحوهم بطرفة، ولم يلتفت إليهم، وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين، فلما هم الناس بمراجعته التفت إليهم معاوية، وقال: دعوا أبا مسلم .. فهو أعلم بما يقول، فمال أبو مسلم إلى معاوية ، وقال له: إنما مثلك ـ بعد أن ولاك الله أمر الناس ـ كمثل من استأجر أجيراً وأوكل إليه أمر غنمه، وجعل له الأجر على أن يحسن رعيها، ويحفظ أبدانها، ويوفر أصوافها وألبانها، فإن هو قام بما عهد إليه حتى تكبر الصغيرة وتسمن العجفاء الهزيلة، وتصح السقيمة المريضة، أعطاه أجره وزاده، وإن هو لم يحسن رعيها وغفل عنها حتى هلكت عجافها وهزلت سمانها، وضاعت أصوافها وألبانها منع الأجر عنه، وغضب عليه وعاقبه، فاختر لنفسك ما فيه خيرك

وأجرك، فرفع معاوية رأسه، وكان مطرقًا إلي الأرض، وقال: جزاك الله عنا وعن الرعية خيرًا يا أبا مسلم، فما علمناك إلا ناصحًا لله ولرسوله ولعامة المسلمين.

وهنا نرى أن معاوية حافظ على العلاقة، وهي الشعرة التي بينه وين عالم من علماء المسلمين، لو حبسه أو نهره أو أمر بضربه ما كسب مثلما كسب في رده الطب على أبي مسلم الخولاني.

وشهد أبي مسلم صلاة الجمعة في جامع دمشق، وكان أمير المؤمنين يخطب الناس، ويذكر لهم ما أمر به حفر وتعميق نهر بردى، حتى تصفو لهم مشاربه، وتنقى مياهه، فناداه أبو مسلم بين الجموع، وقال: نذكر يامعاوية أنك تموت اليوم أو غد، وأن دارك قبر من القبور، فإني جئتها بشيء كان لك فيها شيء، وإن

جئتها خالي اليدين من المال وغيره، وجدتها خالية من كل ـ قاعًا صفصفًا ـ وإني أعيذك بالله يا معاوية أن تظن أن الخلافة كري الأنهار، وجمع الأموال، وإنما الخلافة عمل بالحق، وقول بالعدل ، وأخذ للناس بما يرضى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

يا معاوية، إنا لا نبالي بكدر الأنهار إذا صفت رأس عيّننا، وأنك رأس عيننا، فاجتهد في أن تظل صافيًا، يا معاوية أنك أن تظلم رجلاً واحداً يذهب ظلمك بعدلك، فإياك والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

فلما انتهى أبو مسلم من كلامه، نزل إليه معاوية عن المنبر، وأقبل عليه وقال: يرحمك الله يا أبا مسلم، ويجزيك عنا خير الجزاء.

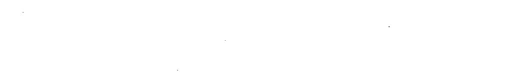
وفي مرة أخرى صعد معاوية المنبر، وشرع في

خطبته وكان قد منع عن الناس عطاياهم وأجورهم شهرين، فناداه أبو مسلم وقال: يا معاوية إن هذا المال ليس بمالك، ولا مال أبيك وأمك، فبأي حق تحبسه عن الناس.

فبدأ الغضب على وجه معاوية، وجعل الناس يترقبون ما عسى أن يكون منه، فما كان منه إلا أن أشار للناس أن ابقوا في أماكنكم، ولاتبرحوها، ثم نزل عن المنبر وتوضأ، وأراق علي نفسه شيئًا من الماء، ثم صعد المنبر فحمد الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: إن أبا مسلم قد ذكر أن هذا المال ليس بمالي ؛ ولا مال أبي وأمي، وقد صدق أبو مسلم فيما قال، وأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء تطفئ النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل»**.

(١) قول ابن عباس، وانظر «سيرة ابن هشام» (ج٢، ص١٩٠)، و«زاد المعاد»

ثم قال: أيها الناس .. انطلقوا لأخذ حقوقكم وأجوركم على بركة الله، هكذا كان علم معاوية، وهكذا كان حرصه على الشعرة بينه وبين الناس، وهي العلاقة التي لا تنقطع ولا تنتهي بين المسلمين جميعًا، فما كان معاوية يخاصم أحد أو يقاطع أحد بل كان دائم الحفاظ على شعرة بينه وبين الناس.



(٢/ ٧١، ١٠١)، وصحيح البخاري (٢/ ٥٧٤-٥٧٥)

حكايات خصلة الشعر

أين شعيراتي ؟!

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه





أين شعيراتي؟

امتلأت قرية من قرى بني إسرائيل بالعلم، وفي هذه القرية، نشأ ثلاثة رجال خلقهم الله أول ما خلقهم في أحسن تقويم، فجعل أجسامهم وجلودهم ومظهرهم بهجة للناظرين، وفتنة لإخوان الشياطين.

كان أبرصهم قبل أن يكون أبرص ذا جلد حسن ولون متجانس جميل، بياضه مشرَّبٌ بحمرة رائعة جذابة، وقد امتلأ جسمه فتوة وصحة، وبدت عليه مظاهر القوة ، وهي من نعم الله سبحانه على عبده.

أما الأقرع .. قبل أن يكون أقرع، كان طويل الشعر، تبدو على شعره النعومة، حتى أن خصلاته كانت على وجنتيه، فتخلع عليه جمالاً وفتنة، وروعة تعجب الناظرين.

وكان الأعمى قبل أن يكون أعمى، واسع العينين،

في عينيه جمال وسحر وفتنة وإغراء، تثير من يرمقه بنظراته الخلابة، وبهذا الوصف الساحر الذي اتصفوا به، أصبح الثلاثة حديث مجال السمر في القرية، ومثار كلام أهلها، فهم يتناولونهم بالوصف والإعجاب، ويغبطونهم على ما أنعم الله عليهم من الجمال الأخاذ، والفتنة الساحرة.

وقد اجتهد أهل القرية قبل مجيء هؤلاء الثلاثة في أعمالهم أيما اجتهاد، فكان العامل مجتهداً، والتاجر أميناً، والزارع مثابراً صابراً، كل هؤلاء، العامل والتاجر والزارع يعودون إلى دورهم في المساء راضين مطمئنين، صالحين ، راضين هم وأزواجهن وأبنائهم، وأمهاتهم.

ومنذ أن ظهر بينهم هؤلاء الفتيان الثلاثة، وهم: الأقرع بشعره المسترسل الطائر في الهواء والذي كان يلهو به ويشغل ضعيفات النفوس، فأصبح ركناً من أركان الفتنة في القرية.

والأعمى قبل أن يصيبه العمى، الذي أشاع الفساد

في القرية، فأصبح محبوبًا من الغانيات، وممن يرمي نظراته حولهن وهن لا حول لهن ولا قوة، فملأ أركان القرية بالفساد والفجور، وكذلك الأبرص أصبح ضالاً فاسدًا.

لم يعتبر الثلاثة بالصحة الوافرة، والرزق الوفير، والهواء النقي، والحدائق الغناء التي تحيط بهم من كل مكان.

وانصرفت مشيئة الله أن يكون هؤلاء الثلاثة مثلاً وعبرة لأهل قريتهم الصالحين.

فقد أمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - جلد الأبرص، فاضطرب وذهبت نضارته، وظهرت فيه بقع لونها أبيض بياض اللبن، وتشوه جسمه وأصبح أبرصًا، فأصبح الأبرص مع مرور الأيام منبوزًا من قومه، ومهجورًا من أقرانه وأصحابه، كل منهم يخاف على نفسه من إصابته بالداء.

أما الأقرع .. الذي كان مسترسل الشعر، يتخايل وهو يهفهف ويتمايل في الهواء، فقد أمر الله شعره فتساقط، وظهر جلد رأسه وطفحت فيه القروح والجروح، فانفجرت وسال قيحها، وكان أمره بين الناس عجبًا، فقد ندبوا حظه العاثر، وصار أصحابه يتوارون منه هلعًا ورعبًا خشية من الإصابة بهذا المرض اللعين الذي أصابه، فعاش الأقرع وحيدًا فريدًا في دنياه، حزينًا لبلواه، طاويًا شكواه، امتلأت نفسه بالآلام والشجون، وفاضت عيناه بنهر من الدموع، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأصبح لا يملك ما يمسك رمقه، ويسد جوعه، ويروي عطشه، فطوى أحلامه وأمنياته، وانتظر انقضاء أجله، فلم تعد الدنيا مسرحًا لضلاله وفساده.

أمَّا الأعمى .. فقد انصرفت مشيئة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فأمر عينيه لينطفئ نورهما، فأصابه العمى، وسقطت أهدابه، وفقد نور عينيه، وخبأ بريقهَا ، ومضت الأيام التي كانت نظراته فيها سحر، وجفونه بدر، فانكفا

حاسرًا وهو كظيم.

ولما عمي فقد ماله وقَلَّ رزقه، فصار فقيرًا محتاجًا، لا يجد قوت يومه، ينام جائعًا، ويصبح خاويًا بعد أن صرف النوم عنه، فطوى أحلامه وأمنياته، وانتظر انقضاء أجله، ولم تعد الدنيا مسرحًا لضلاله وفساده.

وعاش الفتيان الثلاثة شاهدًا حيًا يدل على انتقام الله - عَزَّ وَجَلَّ - من الجاحدين الذين لا يشكرون النعمة، ولا يعرفون صاحب الفضل، ولا يحفظون الجميل، بل يبددون نعم الله - عَزَّ وَجَلَّ - في غير مكانها، وبدلاً من أن تكون نعمة لهم، يجعلونها نقمة على غيرهم، فيضلوا بها من يضلوا، ويفسدوا في الأرض بدلاً من أن يكونوا أداة إصلاح ودعوة فلاح ونجاح.

وتحدثت القرية كثيرًا عنهم، وأصبحت قصتهم مثار عجب لهم ودهشة لكبيرهم وصغيرهم، حتى أن بعضهم خاف واستغاث وقال: إنها نقمة الله على الفتيان الثلاثة، وقد تنسحب على القرية كلها،

والبعض الآخر قال: إنها حكمة الله وقضاؤه وقدره.

وفي يوم من الأيام اجتمع الثلاثة : الأعمى، والأبرص، والأقرع، وتذاكروا أيامهم الماضية، وأسفوا على ما فرطوا في حق الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وما اقترفوا من آثام وذنوب، وما حملوا من الشر والضلال، حتى فتنوا الناس.

وأيقنوا أن هذا هو جزاؤهم ولابد من التوبة، فعقدوا العزم على التوبة وصدق النية، على أن يعودوا إلى الله سبحانه وتعالى، مُقرِّين بذنوبهم ، ومعترفين بما اقترفوا من جُرم، واستولى عليهم الندم الشديد، ولكن الله غفور رحيم ، واقسموا بالله جاهدين أنَّه إذا أعاد الله إليهم النعمة ليشكرن صنيعه سبحانه - عَزَّ وَجَلَّ -، وليستخدمن النعمة فيما أمر أن تكون.

سمع الله - عَزَّ وَجَلَّ - قسمهم، وعرف سرهم ونجواهم، وانصرفت مشيئة الله أن يكمل أمر هؤلاء الثلاثة، فأرسل ملكًا يقوم بهذه المهمة.

وبدأ بالأبرص، فوجده قد أوى إلى ركن الحجرة التي يقيم فيها وحيداً، وقد اعتزل أهله جميعًا، وانطوى يفكر فيم آل إليه حاله، وجعل يبكي أيامه الحلوة الجميلة التي طالما نعم بها وبأوقاتها، وفي هذه الأثناء دخل عليه الملك الكريم الذي أرسله الله في صورة رجل مشفق عليه، ومستعد لمساعدته، وسأله: ما بالك وحيداً تبكي؟، فأجابه الأبرص في صوت حزين: لقد كان جلدي حسنًا جميلاً ناعمًا أبيضًا، وها أنت ترى أن الله أذهب عني هذه النعمة، فقال الملك: ألم يكن هذا الجلد الحسن الجميل، سببًا في ضلالك وكبريائك حتى كفرت بنعم الله، فبكى الأبرص نادمًا، وانخرط في البكاء بشدة.

فقال له الملك وقد تبسم في وجهه وهدَّأ من روعه: أبشر فإن الله قد علم ما فيك من ضعف، وقبل توبتك، وستر عيبتك، وغفر لك ذنوبك، وأعاد إليك نعمه العظيمة التي سلبها منك، ومسح الملك الطاهر بيده

على جلده، فغابت البقع وبرأ الجلد، وأصبح جميلاً حسنًا كما كان، وقال له الملك: والآن ما تحب من المال؟، قال الأبرص: الإبل، فوهب له ناقة عشراء، وقال له: يبارك الله لك فيها.

أما الأقرع .. فقد جاءه الملك وطرق بابه، وحيَّاه تحية طيبة، فوجده حزينًا باكيًا، فقال له: أراك حزينًا باكيًا .. ما السر في ذلك؟، فحكى الأقرع ما أصابه، فذكَّرَه الملك بالنعم قائلاً: ألم يكن شعرك سببًا في فتنة الناس؟، لم لَمْ تحافظ على نعم الله عليك، فبكى الأقرع وأبدى توبة صادقة، وندم على ما فعل، لعل الله يعيده سيرته الأولى، فقال له الملك: أبشر، فقد غفر الله لك، ومسح بيده الكريمة الطاهرة على رأسه فذهب القراع وبرئ من هذا المرض سريعًا، وأصبح كما كان بشعر جميل، وخصلات شعر رائعة، ثم سأله الملك: أي المال أحب إليك؟، قال: البقر، فوهب له بقرة عشراء، وقال له: يبارك الله لك فيها.

أما الأعمى .. فقد حدث معه ما حدث مع الأبرص والأقرع، وذكره الملك بنعم الله عليه، فتاب وندم، فقال له الملك: أبشر فقد سمعك الله، واستجاب لتوبتك وعبادتك، ومسح على عينيه، فابصرتا وعادتا أحسن مما كانتا، وقال له الملك: أي المال أحب إليك؟ ، قال: الغنم، فأعطاه شاة ولودًا ، وقال له : يبارك الله لك فيها.

عادت الصحة والعافية والجمال للفتيان الثلاثة، فلم يعد الأبرص أبرصًا ، بل أصبح شابًا جميلاً، وكذلك الأقرع والأعمى، فعلم الناس أن الله رحمهم وعفا عنهم، واختصهم بنعمه الواسعة.

فها هو الأبرص أصبح غنيًا، فقد ولدت له ناقته عشرات النوق، وكثر نسلها من الإبل، حتى ملأت الأودية، فأكل وشرب واكتسىٰ وركب، وجمع منها المال الكثير، حتى اكتنز الذهب والفضة ، فأقبل عليه الناس والتفوا حوله، فدخله الكبر، وعاد يرتكب

الذنوب مرة أخرى.

أما الأقرع .. فقد نبت شعره، وتدلت خصلاته، فلفت الأنظار، وأصبح مدهشًا للأبصار، وولدت بقرته، وبارك الله له فيها كما دعا له الملك، فتناسلت وأصبح لديه من البقر المئات بل الآلاف، فجمع منها مالاً كثيرًا وأصبح يملك الرعاة والخدم والحشم والبيوت، وأقبل عليه أهل القرية يطلبون رضاه، والتفوا حوله ينعمون بقربه، وعادوا يحيطون به كما كانوا من قبل، فأخذه الكبر والغرور من جديد، ونسى ما كان فيه من بلاء وشقاء ومرض جعل الناس ينفرون منه، ونسى عهده مع الملك الكريم، وأقبل عليه إخوان السوء، وأصدقاء الشر والضلال، فبخل بماله، وارتكب الذنوب من جديد.

أما الأعمى .. فكان غيرهما، فما أن عاد إليه بصره، ورأى الدنيا حوله حتى سجد لله شكرًا، وجدَّد ندمه وتوبته، وصمم أن يخلص لحق الله ، وأن يعيش

ليعبده، وينال رضاه، وقد بارك الله له في شاته، التي أعطاها إياه، وكثر نسلها، وازدحم الوادي بقطعان منها، فتاجر بأولادها ونتاجها، حتى كثر ماله، وكثر خدمه وحشمه، واتسعت دوره، وأقبل أهل القرية عليه، والتفوا حوله، وحاولوا مدحه والثناء عليه، وحاولوا أن يجلس معهم كما يجلس صاحباه الأقرع والأبرص، ولكنه لم يغتر ولم يصبه كِبر أو بطر، بل شكر وصبر، وفرَّ من قرناء السوء، ورد الشر ومكامن الفتنة، وسد أذنيه عن كل ما يغضب الله ، وعرف أن نعمة البصر لا تعدوها نعمة، حينما يرى الإنسان كل ما حوله من جمال، وكلما رأى هذا الكون من حوله سجد لله شكرًا وخوفًا ورهبةً.

اختبار شكر النعمة:

منَّ الله على الفتيان الثلاثة، فمنهم من شكر، ومنهم من فجر، وأراد الله سبحانه وتعالى اختبارهم، فأرسل إليهم الملك في صورة فقير، لا حول له ولا قوة،

ممزق الثياب، حافي القدمين، أشعث الشعر.

فجاء للأبرص في صورة الرجل الفقير وهيئته، وقال له: أنا رجل فقير، جئت من بلد بعيد، وقد نفد طعامي، وتمزقت ثيابي كما ترى، فلا أجد ملجأً لي اليوم إلا الله سبحانه - عَزَّ وَجَلَّ - ثم أنت، وأني أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، وهذا الجمال، والمال الكثير بعد حاجة وفقير ومرض، أسألك أن تعطيني بعيراً استعين به على سفري البعيد.

فقال الأبرص: إن عليَّ حقوقًا كثيرة، وليس عندي ما يفيض لأعطيك، فقال له الملك: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص ينفر منك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟! ، فقال الأبرص: لقد ورثت المال عن أبي وجدي، وما كنت يومًا أبرصًا كما تقول، فقال الملك على الفور: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله كما كنت، فوجد نفسه أبرصًا كما كان.

وأتى الأقرع في صورة رجل فقير وقال له: أنا رجل

فقير جئت من بلد بعيد، وقد نفد طعامي، وتمزقت ثيابي كما ترى،فلا أجد ملجأً لي اليوم إلا الله ثم أنت، وإني أسألك بالذي أعطاك الصحة والشعر الجميل، والمال الوفير بعد حاجة وفقر ومرض، أسألك أن تعطيني مما أعطاك الله ما يعينني على مشقة السفر، فقال الأقرع كما قال الأبرص للملك، قال الملك: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

فشعر الأقرع أن القراع قد عاد إلى رأسه وسقطت خصلاته، فصرخ بحزن: أين شعري .. أين شعيراتي.

فأتي الأعمى في صورته وهيئته، فقال له: أنا رجل فقير، جئت من بلد بعيد، وقد نفد طعامي، وتمزقت ثيابي كما ترى، فلا أجد ملجأً لي اليوم إلا الله، ثم أنت، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك أن تعطيني شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى، فردَّ الله بصري، وكنت فقيرًا فأغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أبخل عليك اليوم بشيء أخذته لله.

فقال الملك: ردَّ هذا المال، فلا حاجة لي به، فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك.

وعاد للأبرص برصه، وعاد للأقرع قراعه وبؤسه، وظل يصرخ: أين شعيراتي .. أين شعيراتي؟ ، وزال عنهما المال.

وبقى الأعمى الشاكر للنعمة العارف بها بصره وماله، وكان هذا هو جزاء الشاكرين.



حكايات خصلة الشعر

الشعر والخصال العشر

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد المنعم الهاشمي

عفا الله عنه





الشعر والخصال العشر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة:

- قص الشارب.
- وإعفاء اللحية.
- والسواك.
- واستنشاق الماء.
- وقص الأظفار.
- وغسل البراجم.
- ونتف الإبط.
- وحلق العانة.
- وانتقاص الماء»(يعني الاستنجاء).

وقال الرواي مصعب بن أبي شيبة: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة [1]، وقال النووي:

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا (نيل الأوطار ـ ١/ ١١٠).

لعلها الختان، وهي أولى.

أولاً - السنة النبوية تدعو للنظافة:

لم تترك السنة النبوية شيئًا طيبًا جميلاً إلا ودعتنا إليـه، فـرسـول لله ﷺ أرسله الله إلينا يتـخلق بخلق القـرآن، ويدعـونا للصـلاة، والصـلاة تحتـاج الطهـارة والزينة، عند كل مسجد والجمال.

وسنن الفطرة التي دعـا إليـهـا رسـول الله ﷺ هي نظافة أو طهـارة وجـمال، وكل مسلم صـغيراً كان أو كـبـيـراً يجب أن يعرف سنن الفطرة، ومن سنن الفطرة ماله اتصال بالشعر الذي ينبت بين ثنايا جسم الإنسان؛ ومن هذا الشعر: ما نبقى عليه للزينة كشعر الرأس، واللحية، ومنه ما يضر الجسم والصحة، والنظافة إذا استمر وجوده كشعر الإبط الذي ينبت تحت الإبطين،

فإذا اختلط بالعرق أصدر روائح كريهة، تجعل الناس تنفر من صاحب هذا، ومن الشعر ما يؤثر وجوده وطوله في شكل الإنسان كشعر الشارب.

ولقد دعتنا شعيرات اللحية المباركة، والذي دعانا الرسول ﷺ إلى إطلاقها في قوله: «**اطلقوا اللحى**»، دعتنا إلى الحديث كل سنن الفطرة العشر سواء أكان فيها شعيرات أم لم يكن فيها، ونبدأ بترتيب الحديث:

(١) قص الشارب:

هو سنة عن رسول الله ﷺ باتفاق العلماء، والقاص يمكن صاحب الشارب، أو يكلف غيره كالحلاق، فهو مخير بين يقص لنفسه أو يكلف غيره، والتقصير بأن يؤخذ الشارب حتى يبدو أطراف الشفة، وهو معنى حديث: «**أحفوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا**

المجوس»[١] ، وفي ذلك مخالفة للمشركين: «**خالفوا المشركين وفروا اللحى، واحفوا الشوارب**»[٢] ، وفروا اللحى أي: أطلقوها، واحفوا الشوارب، أي: قصروها أو قصوها، ولقد كان الأنبياء أكثرهم ملتحون مثل هارون كما ذكرنا في قصة اللحية المباركة، عندما أمسك موسى بلحيته[٣] .

(٢) السواك:

ربما تكون ممن يستخدمون معجون الأسنان هذه الأيام لنظافة أسنانه، ولكن الإسلام منذ أن يقارب من ١٤٠٠ سنة أو يزيد دعا إلى نظافة الأنسان، وبغير معجون أسنان، ترى كيف تم ذلك؟: السواك من سُنن الفطرة كما عرفنا - أي: من السُّنَّة والدين -، لأنه

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) رواه الشيخان عن ابن عمر ﷺ.
(٣) ارجع إلى قصة «اللحية المباركة» في هذه السلسلة.

يستخدم في تطهير الفم وموجب لرضا الله على فاعله، لقوله رسول الله ﷺ : **«السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»**[1]، والسواك يستخدم في أي وقت، وهو سنة مؤكدة لقول رسول الله ﷺ : **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**، وفي قول آخر: **«لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»**[2].

وإذا حصلت على السواك فعليك أن تستخدمه كما كان يستخدمه رسول الله ﷺ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ : كان رسول الله ﷺ لا يرقد من ليل أو نهار، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ[3]؛ ذلك لأن النوم والأكل يغيران رائحة الفم، والسواك مشروع لإزالة رائحة الفم وتطييبه.

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) رواه الجماعة.
(٣) رواه أحمد وأبو داود.

ويستحب أن يستاك الشخص بيده اليمنى مبتدئًا بالجانب الأيمن، عرضًا في الأسنان ظاهرًا وباطنًا من ثنايا إلى أضراسه، ويذهب إلى الوسط ثم الأيسر، والاستياك بالطول مكروه، لأنه قد يدمي اللثة، ويفسد لحم الأسنان.

وعندما يستاك الإنسان، يدعو قائلا: اللهم طهر قلبي، ومحص ذنوبي، وللسواك فوائد عديدة ، فهو يطهر الفم، ويرضي الرب، ويبيض الأسنان، ويطيب النكهة، ويشد اللثة، ويذكي الفطنة، ويضاعف الأجر .. ونحو ذلك، حتى أن بعض العلماء أوصلها إلى أكثر من ثلاثين فائدة أو فضيلة.

(٣) استنشاق الماء:

إن الفم والأنف من الوجه يعني أن المضمضة

والاستنشاق واجبان في الوضوء، لما ورد في الحديث: **«إذا توضأت فمضمض»**، وقوله ﷺ: **«إذا توضأت فانتثر»**، وقوله ﷺ: **«إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء، ثم لينتثر»**.

(٤) قص الأظفار:

تقليم الأظفار من سنن الفطرة التي تدعو الإنسان إلي النظافة وحب النظافة، وتقليم الأظافر هو سنة باتفاق العلماء، ويستحب أن يبدأ بالجانب الأيمن - اليد اليمنى - من السبابة إلى الخنصر ثم الإبهام، ثم خنصر اليسرى إلى الإبهام، ويُستحب غَسَلَ رؤوس الأصابع بعد قص الأظافر تكميلاً للنظافة فلا بأس، ويمكن له دفن الأظافر ولا بأس من رميها، وقطع الظفر بالأسنان مكروه لما فيه من ضرر.

(٥) غسل البراجم:

البراجم هي مفاصل الأصابع، وهي رؤوس السلاميات في ظهر الكف إذا قبضت كفك من الخلف، ظهرت رؤوس من العظم وارتفعت، وفي الغالب هي المفاصل التي تفصل بين الأصابع وكف اليد، ورؤوس الأصابع تحت الأظافر من الخارج، فيجب غسلها وتنظيفها أيضاً.

(٦) إعفاء اللحية:

إعفاء اللحية أو تركها: يعني إطلاقها وعدم التعرض لها بتغيير، أو حلق؛ لقول ﷺ: **«احفوا الشوارب وارخوا اللحى، خالفوا المجوس»**[(١)].

وقد ذكرنا أنه ثبت أن نبي الله هارون عليه السلام كان

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.



يطلق لحيته، عندما نقرأ قصة موسى وهارون، وما فعله السامري بإغوائه اليهود (بني إسرائيل)، بعبادة العجل في غياب موسى عليه السلام، وحاول هارون إثناهم عن الشرك، بالله، ولكنهم لم يتعظوا، ولما جاء موسى عليه السلام غضب من فعلهم، وأمسك بلحية أخيه هارون عليه السلام يعاتبه ويلومه، فقال هارون: ﴿ **يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي** ﴾ (طه : ٩٤).

واللحية تظهر وقار للمسلم ومخالفة للمجوس المشركين الذين كانوا يطلقون شواربهم ويحلقون لحاهم.

(٧) نتف الإبط:

وهو سنة ذكرها رسول الله ﷺ في خصال الفطرة العشرة، وفيها حث على النظافة بنزع شعر الإبط، حتى

لا يؤذي صاحبه بالرائحة الكريهة عند حدوث عرق في الجسم.

(٨) حلق العانة (الاستحداد):

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار**»[١].

وحلق العانة هو ما ذكر في الحديث بالاستحداد، وهو سنة بالاتفاق وحلق العانة يكون بالحلق، والقص، والنزع، والأفضل، الحلق، والمراد بالعانة حول مخرج البول عند الرجل والمرأة[٢].

(١) رواه الجماعة (نيل الأوطار ـ ١/١٠٨ وما بعدها).

(٢) بتصرف، والنص «حول فرج الرجل وفرج المرأة».

(٩) انتقاص الماء:

الاستنجاء طهارة للمصلى، والذي يستعد للوضوء، وهو إزالة النجس بالماء، ويكن الاستنجاء بالماء أو بالحجر ونحوه، والأفضل الماء، لأنها تزيل النجاسة وأثرها، وقد تحدث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه لما نزلت الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ (التوبة: ١٠٨)، قال رسول الله ﷺ : «**يا معشر الأنصار .. إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهوركم؟**»، قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة.

وللاستنجاء شروط وضعها العلماء، ومن شروط الاستنجاء بالحجر والورق ونحوه ما يأتي:

[١] ألا يجف النجس الخارج، فإن جف عين الماء.

[٢] ألا ينتقل عن المحل الذي أصابه عند خروجه، واستقر فيه، أو ألا يجاوز صفحته وحشفته، فإذا انتقل عنه، فإن انفصل عنه، فعين الماء في المنفصل اتفاقًا.

[٣] ألا يطرأ عليه شيء رطب اجنبي عنه، بخسًا كان أو طاهراً، فإن طرأ عليه جاف طاهر لا يؤثر.

كيفية الاستنجاء:

أن يصب الماء على يده اليسرى، قبل أن يلاقي النجس والأذى، ثم يغسل القبل خاصته في حالة البول، ثم يغسل الدبر، ويوالي صب الماء، ويدلكه بيده اليسرى، ولا يستنجي باليمين، وقد أصبح الاستنجاء الآن سهلاً، لوجود مياه مندفعة في دورات المياة ومسلطة على أماكن الاستنجاء في أغلبها،

ولكن هذا لا يمنع من التأكيد باليد اليسرى، بعد أن ينـدفع الماء فترة.

(١٠) الختــان:

والختان هو قطع جميع الجلدة التي تغطي حشفة ذكر الرجل، حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى من الجلدة التي في أعلى الفرج.

ويسمى ختان الرجل إعذاراً، وختان المرأة خفضًا، فالخفض للنِّسَاء، والختان للرجال، ويستحب أن يكون الختان في اليوم السابع للولادة، وهو سُنَّة للرجل، ومكرمة للمرأة عند الحنفية والمالكية للحديث: **«الختان سنة في الرجل، مكرمة في النساء»**[١].

---

(١) رواه أحمد والبيهقي من حديث الحجاج بن أرطأة رضي الله عنه.

هذه حكاية خصال الفطرة العشرة ، يجب أن نعرفها لما فيها من دعوة للطهارة والنظافة .